كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

الكتاب الأول : المقدمة

الجزء الأول

قرأه وعارضه بأصول المؤلف، وأعدّ معاجمه وفهارسه

إبراهيم شبّوح إحسان عبّاس

تونس 2006

نشرة تكريمية محدودة، أعدت بمناسبة احتفالات تونس بالمئوية السادسة لوفاة

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

اشترك في نشرها : القيروان للنشر

ص . ب 115 – المنار الثاني – تونس 2092 الجمهورية التونسية

الترقيم الدولي :

ردمك : 001– 861– 9973– 978

الدار العربية للكتاب

الفرع الرئيسي : 4 شارع محيي الدين القليبي ص . ب 32

2092 – المنار الثاني - تونس - الجمهورية التونسية

ردمك: 4-232-10-9973-978

المقر الرئيسي : شارع غومة المحمودي – ص . ب 3185 – طرابلس

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الطبعة الأولى

تونس 2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أَوْلَى سِيَادَةُ الرَّئِيسِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ بْنُ عَلِيٍّ رَئِيسُ الْجُمْهُورِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ، نَابِغَةَ تُونُسَ، الْعَلَّامَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ، ابْنَ خَلْدُونَ، جَلِيلَ الْاعْتِبَارِ وَكَرِيمَ الْإِنْصَافِ، فَأَذِنَ سِيَادَتُهُ بِالْاحْتِفَالِ بِذِكْرَاهُ الْمِئَوِيَّةِ السَّادِسَةِ، تَقْدِيرًا لِإِسْهَامِهِ الْمُتَمَيِّزِ فِي إِرْسَاءِ أُسُسِ عِلْمِ الْعُمْرَانِ الْبَشَرِيِّ، وَإِثْرَاءِ الْفِكْرِ الْمُسْتَنِيرِ.

ابن خلدون

هذا الرَّجل الفاضل حسنُ الخُلُق، جَمُّ الفضائل، باهرُ الخَصْل، رفيعُ القَدْر، ظاهرُ الحياء، أصيلُ المَجْد، وقورُ المَجْلس، خاصّيّ الزِّيّ، عالي الهِمّة، عَزُوفٌ عن الضَّيْم، صَعْبُ المَقَادة، قَويّ الجأش، طامحٌ لقُنَن الرِّئاسة، خاطبٌ للحظّ، مُتَقَدِّم في فنون عقليّة ونَقْليّة، مُتَعَدّدُ المزايا، سَديدُ البَحْث، كثيرُ الحِفْظ، صَحيحُ التّصوُّر، بارعُ الخَطّ، مُغْرًى بالتّجِلّة، جوادُ الكفّ، حَسَنُ العِشْرة، مَبْذول المُشاركة، مقيمٌ لرُسُوم التّعيين، عاكفٌ على رَعْي خِلال الأَصالة، مَفخرةٌ من مَفاخر التُّخوم المَغْربيّة .

لسانُ الدّين، ابن الخطيب: الإحاطة 3: 397

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

تمهيد

أبْقَى ابنُ خَلْدون قبل رِحْلَته إلى المشرق نُسختَه الأولى المكتملة من كتاب تُرْجمان العِبَر، آثرَ بها خزانة أبي العبّاس أحمد بن محمد الحفصيّ، بعد مغامرة فكريّة طويلة بدأت سنة 776هـ/ 1347م في قَلْعة تاوَغَزّوت، أو ابن سَلامة[1] في مقاطعة وَهْران من الجمهورية الجزائرية، وانتهت في تُونِس نحو سنة 782هـ/ 1380.

وبَنَى الكتاب، كما يقولُ في مستهلّ المقدّمة، على أخبار الجيلَيْن اللّذيْن عَمرا المغرب في عَصْره، وما كان لهما من الدّول، ومن سلَف لهما من الملوك، وهما العَرَب والبربر: "الجيلان اللّذان عُرف بالمغرب مَأْواهما، وطال فيه على الأَحْقاب مَثْواهما، حتّى لا يكادُ يُتصوَّر عنه مُنْتواهما، ولا يَعْرف أهلُه من أَجْيال الآدميّين سِواهما".

ثم خرج إلى مصْر سنة 784هـ/ 1382م، فأفاد - كما يذكر - "ما نقَصَه من أخبار مُلوك العَجَم والتّرك ومَمالكهم، ومن عاصرهم من الأَجْيال من أُمَم النّواحي"، وبدأ في الإضافة والمراجعة الشّاملة والتّهذيب.

وكانت سنوات إقامته الأولى موزّعة بين سَفَره إلى الحجّ، وتَوْفيره وسائل استقراره، والجدّ في التّدريس، وتَمْتين روابطه برجال الدّولة؛ وكانت دروسُه الّتي

(1) كانت رباطاً لبعض المنقطعين من سويد، وسلامة الذي تنسب إليه، هو سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس بني يَدْلَلْتَن من بطون تُوجّين، سكن تاوَغَزّوت ، واختطّ بها القلعة فنسبت إليه، انظر: العبر 7: 130 .

عَرّف فيها بمَنزِلَته مُنصبّة على تَدْريس الفِقْه وأُصوله وتَدْريس مُقدمة العِبَر[1]. ولم يفرغ للكتاب واسْتكماله إلا بعد فِتْنة النّاصريّ الّتي امتُحِن فيها[2] وألْزمته العُزْلة، فانكبّ على مراجعة عَمله في العِبر، واسْتِكْمال موادّه وتَحْريرها، وأخرج نُسْخته الأولى في مصر سنة 797هـ/ 1394م بنيّة إهدائِها للمَلك الظّاهر، بعد أن غيّر تَسْمية الكتاب، وأضاف إليه فَصْل التّعريف للمرّة الأولى، ولكن يَبْدو أنّ النّسخةَ لم تَصلْ إلى مستقرّها، ولأسبابٍ ما بَقِيت عنْده، وبُدِئَ في انْتساخ النّسخ الكامِلة بعْدها. ولعلّ من أَشْهر ما عرفْنا منها وقد رَأَيْنا بعضَها - وهي من النّسخ الخزائنيّة - أجزاء من بقيّة نُسْخة القرويّين (الفارسيّة)، مؤرخة في سنة 799هـ/ 1396م، وأجزاءَ من نُسْخة الخزانة المقريّة السّعدية الصّاحبيّة، وأجزاءَ من وَقْف عبد الباسِط بن خليل الشّافعي؛ وأحدث هذه النّسَخ تاريخاً في حياة المؤلّف هي المؤرّخة على اليقين بآخر القَرْن الثّامن، وأمّا المقدّمة فكانت بوَجْه خاص ملازمةً له، يضيف عليها بلا انقطاع ما يعرض له من تَعْديل وتَهْذيب وإلْحاق، واستمرّت في تطوّرها إلى آخر حياته.

وعندما رحل عن هذه الدنيا سنة 808هـ/ 1406م، كانت تونس تحتفظ بالنسخة الأولى في خزائن ورثة السّلطان أبي العَبّاس أحمد، وقد كان لهذه النسخة ذكرٌ ضئيلٌ يبدو في نُدْرة نُسَخها. وقد ذكر الشيخ نصر الهوريني[3] مصحّح مطبعة بولاق أنّه اعتمد في طبعته للمقدمة سنة 1274 على المخطوط 612[4] (تاريخ تيمور

(1) السخاوي : الضوء اللامع 8 : 233 .

(2) يأتي في التعريف بمخطوط الظاهري .

(3) الإعلام .

(4) عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خلدون 62 .

١) قوله أتحفت بهذه النسخة منه الخ وجد
في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل
قوله أتحفت وبعد قوله وأدرت سياجه ونصها
التمست له الكنز الذي يلج بعين الاعتبار
فنونه • ويلحظ بمداركه الشريفة معانيه
الصحيح وقانونه • ويميز نبيه في المعارف عما
دونه • فسرحت فكري في فضاء الوجود
وأجلت نظري ليل التمام والهجود • بين
التهائم والنجود • في العلماء الركع السجود •
والخلفاء أهل الكرم والجود • حتى وقف
الاختيار بسماء الكمال • وطافت الافكار
بموقف الآمال • وظفرت أيدي المساعي
والاعمال • بمنتدى المعارف مشرقة فيه
غرر الجمال • وحدائق العلوم الوارفة الظلال
عن اليمين والشمال • فأغمضت الافكار
في عرصاتها • وجلوت محاسن الانظار على
منصاتها • وأتحفت بدوانها مقاصير ايوانها
وأطلعته كوكبا وقادا في أفق خزائنها وصوانها
ليكون آية للعقلاء يهتدون بمناره • ويعرفون
فضل المدارك الانسانية في آثاره • وهي خزانة
مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح الماهد
الى آخر النعوت المذكورة هنا ثم قال الخليفة
أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبو
العباس أحمد ابن مولانا الامير الطاهر
المقدس ابي عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة
المقدس أمير المؤمنين ابي يحيى أبي بكر ابن
الخلفاء الراشدين من أئمة الموحدين الذين
جددوا الدين ونهجوا السبل للمهتدين
ومحوا آثار البغاة المعتدين من المجسمة
والمعتدين سلالة ابي حفص والفاروق والنبعة
النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق
والنور المتلالي من تلك الاشعة والبروق فاوردته
من موردها العلي بحيث معتز الهدى ورياض
المعارف خضلة الندى الى آخر ما ذكر هنا
الا انه لم يقيد الامامة بالفارسية لكن النسخة
المذكورة مختصرة عن هذه النسخة المنقولة
من خزانة الكتب الفاسية ولم ينقل فيها
ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

• نصّ الإهداء لأبي العبّاس الحفصيّ من حاشية طبعة نصر الهوريني للمقدمة

ومظهر الآيات الربانية • في فضل المدارك الانسانية • بعسكره الثاقب النقد • ورأيه الصحيح المعاقد • النير المذاهب والعقائد • نور الله الواضح المراشد • ونعمته العذبة الموارد • ولطفه الكامن بالمراصد للشدائد • ورحمته الكريمة المقاصد • التي وسعت صلاح الزمان الفاسد • واستقامة المائد من الاحوال والعوائد • وذهبت بالخطوب الاوابد • وخلعت على الزمان رونق الشباب العائد • وحجته التي لا يعطلها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند ﴿أمير المؤمنين﴾ أبو فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان الكبير المجاهد المقدس أمير المؤمنين • أبي الحسن ابن السادة الاعلام من بني مرين • الذين جددوا الدين • ونهجوا السبيل للمهتدين • ومحوا آثار البغاة المفسدين • أفاء الله على الامة ظلاله • وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله • وبعثته الى خزائنهم الموقفة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم • وكرسي سلطانهم • حيث مقر الهدى • ورياض المعارف خضلة الندى • وفضاء الاسرار الربانية فسيح المدى • والامامة الكريمة الفارسية العزيزة ان شاء الله بنظرها الشريف • وفضلها الغني عن التعريف • تبسط له من العناية مهادا • وتفسح له في جانب القبول آمادا • فتوضح بها الأدلة على رسوخه واشهادا • ففي سوقها تنفق بضائع الكتاب • وعلى حضرتها تعكف ركائب العلوم والآداب • ومن مدد بصائرها المنيرة نتائج القرائح والالباب • والله يوزعنا شكر نعمتها • ويوفر لنا حظوظ المواهب من رحمتها • ويعيننا على حقوق خدمتها • ويجعلنا من السابقين في ميدانها • المجلين في حومتها • ويضفي على أهل ايالتها • ومأوى من الاسلام الى حرم عمالتها • لبوس حمايتها وحرمتها • وهو سبحانه المسئول أن يجعل أعمالنا خالصة في وجهه • بريئة من شوائب الغفلة وشبهتها • وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿المقدمة﴾

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والاوهام وذكر شيء من أسبابها

(اعلم) أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم • والانبياء في سيرهم • والملوك في دولهم وسياستهم • حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثا أو أزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء • ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم

قوله الفارسية أي المنسوبة الى الامير أبي فارس المتقدم ذكره وانظر مع هذا القول خزانة الادب في الصفحة ٥٢٠ صاحب تونس وهو المتوكل على الله أبو فارس عبد العزيز مع أن بني مرين هم ملوك فاس فليحرر اه

• إهداء النّسخة "الفارسيّة" في نشرة الشيخ نَصْر الهوريني سنة 1274هـ/ 1858م

بدار الكتب المصرية)، وقابلَه على نسختين لم يحدد مَوْقعها، الأولى مُهْداة لأبي فارس عبد العزيز المريني، والثّانية نسخة مهداةٌ للخليفة أمير المؤمنين المتوكّل على ربّ العالمين أبي العبّاس أحمد الحفصيّ[1].

ولا ندري هل هي نسخة كُتبت في تونس عن أصل، أم هي ممّا قَدِمَ به ابن خَلْدون عند حُضوره إلى القاهرة، ونُسِخت عنه هناك.

ونُسخةٌ أخرى تَحمل الإهداءَ نَفْسَه، محفوظة بالمكتبة البريطانية

BL. Additional Mss 9574

فهل يرجع تقلّص انتشار النّسخة الحفصيّة الأولى إلى الانصراف عن انتساخها بعد أن ظهرت النّسخة الكامِلة الموسّعة والمُستوفية للأَحْداث، والممتدّة إلى الحِقَب والوقائع القريبة، حتّى أصبح الكتاب في مصر رائجاً ومُنتسخاً في أكثر المكتبات العامة.

فلما جاء العُثمانيون وبدأت تعمر مكتبات إستانبول، بما انتقل إليها من خزائن الشّام ومِصْر، وظَهر التّسابقُ لالْتقاط النّوادر والأصول المهمّة، تحوّلت إلى هناك ذخائرُ المكتبات الخاصّة والعامّة بوَقْفيّاتها المُسَجّلة عَلَيْها نحو خَزائن السّلاطين والوُزراء وكِبار الرِّجال ؛ بما في ذلك النُّسخ والأجزاء المُختلفة المهمّة من كتاب العِبَر، وكان للمقدّمة حُضورٌ بعد ذلك في الفكْر التّركيّ[2]، بدءاً بالقرن الحادي

[1] انظر نصّ الإهداء على حاشية طبعة الهوريني .

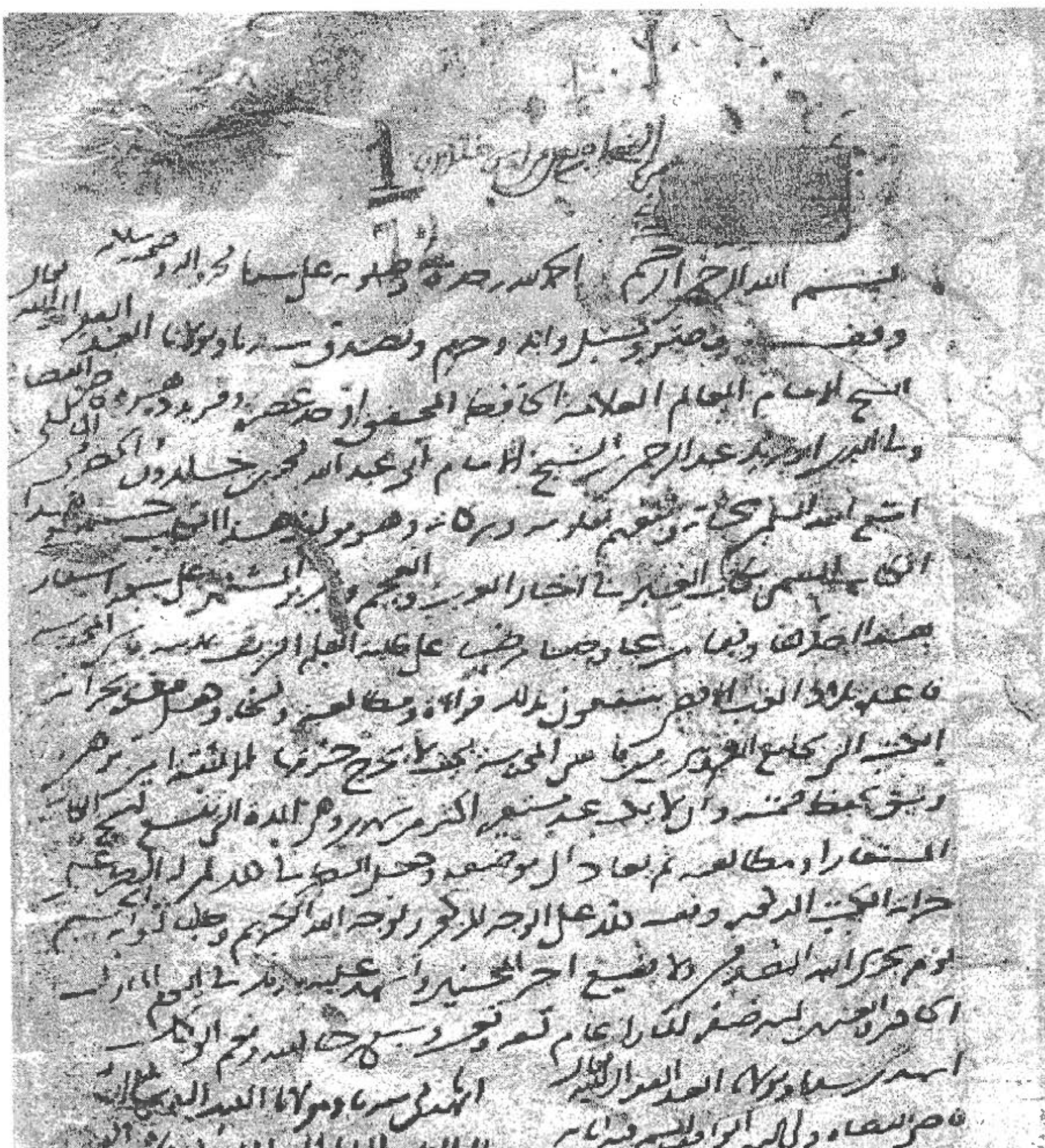
[2] انظر الترجمات التركيّة وابن خَلْدون عند المؤرخين الأتراك، عند عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خَلْدون 169 -

عشر للهجرة (17م)، فقد ترجمها محمد صاحب المعروف بپيري زاده سنة 1138هـ/ 1725م وطبعت سنة 1860، وأصبح اسم ابن خَلْدون معروفاً تَفْخر المكتبات بوُجود أصوله المهمّة فيها، كما نرى في العِناية الّتي لحقت أَصْلَه المُباشر الّذي استقرّ في مكتبة عاطف مصطفى.

لقد احتَجبَت المخطوطات المهمّة في تركيا داخل مستقرها الجديد، ولم تُعرف في العالم العربيّ، ولم يَرِدْ لها ذكر فيما أَعْلم، عدا بعض النّسخ الحديثة المَنْقولة عنها، فإنّها عَرَفت طريقها إلى مِصْر خاصّة بفَضْل عناية العلاّمة أحمد تيمور باشا وأحمد طلعت باشا وغيرهما من العُلماء الّذين كانوا يتردّدون على دار الخلافة، ويَرْتادون مكتباتها ويَسْتَنْسِخون نفائسَها.

وأصبحت النسخة الفارسيّة في القرويّين بعد انقطاع أثر النّسخة الحفصيّة التونسيّة واحتجاب الأصول المهمّة من نُسَخ المؤلّف المصحّحة في مكتبات إسْتانبول وبعض الآفاق الأخرى، أصبحت هي المصدر الأَوْثق والمهمّ والأكثر ترويجاً لكتاب العبر، وذلك منذ دخلت المَغْرب إلى أن أدركها التّلاشي. فأقبل عليها النّساخ إقبالاً شديداً، يدلّ عليه هذا الكمّ الوافر من النّسخ الخاصّة والعامّة الّتي يتصدّرها الإهْداء لخزانة أبي فارس عبد العزيز؛ وتوالدت النُّسخ من بَعْضها، وأكثرها إن لم أقل كلّها كُتبت بالخطّ المغربي المتلاحِق المقوّر المعروف.

وآفة هذه النّسخ المتّصلة بالفارسية أن أَصْلها الذي كَتبهُ ابنُ الفخّار سنة 799 هـ (1396م) كان قد أعدّه - فيما يبدو- متعجّلاً ليُرْسل إلى المغرب الأَقْصى مع



وثيقة تحبيس النسخة "الفارسيّة" على جامع القرويّين في صفر 799هـ، ويشتمل على سبعة أجزاء، وليس ثمانية، كما يذكر المقري


وسار في قوم واستعملوه بأن محمد بن يزيد بن حاتم قد توجه من قبل الأمين في
جند ليحمي الأهواز من أصحاب طاهر فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن
العلاء والعباس بن بخاراخذاه مدد الحسين الرستمي ثم أمدهم بقريش بن شبل ثم
سار بنفسه حتى كان قريبا منهم وأشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم وقد
أشار عليه أصحابه بالرجوع إلى الأهواز والتحصن بها حتى يأتيه قومه الأزد
من البصرة فرجع وأمر طاهر قريش بن شبل باتباعه قبل أن يتحصن بالأهواز
فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد إلى الأهواز وجاء على أثره فاقتتلوا قتالا شديدا
وفر أصحاب محمد واستمات هو ومواليه حتى قتلوا وملك طاهر الأهواز
وولى على اليمامة والبحرين وعمان ثم سار إلى واسط وبها السندي بن يحيى
الحرشي والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن خازم فهربا عنها وملكها طاهر وبعث
قائدا من قواده إلى الكوفة وبها العباس بن الهادي فخلع الأمين وبايع للمأمون
وكتب بذلك إلى طاهر وكذلك فعل المنصور بن المهدي بالبصرة والمطلب بن
عبد الله بن مالك بالموصل وأقرهم طاهر على أعمالهم وبعث الحريش بن هشام
وداود بن موسى إلى قصر ابن هبيرة وأقام هو بجرجرايا ولما بلغ الخبر بذلك كله
إلى الأمين بعث محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربري إلى قصر ابن هبيرة
فقاتلهم الحريش وداود فانهزموا إلى بغداد وبعث الأمين أيضا
الفضل بن موسى بن عيسى على الكوفة فبعث إليه طاهر محمد بن العلاء في جيش
فلقيه في طريقه فأراد مسالمته بطاعة المأمون فكان [illegible] فانهزم إلى
بغداد ثم سار طاهر إلى المدائن وعليها البرمكي والمدد تتصل له كل يوم فتقدم
قريش بن شبل فلما أشرفوا عليهم داخل البرمكي في التعبية فكانت لا يتم له فأطلق
سبل الناس وركب بعضهم بعضا نحو بغداد وملك طاهر المدائن وتوجه إلى
نهر صرصر وعقد بها جسرا. بيعة الحجاز للمأمون. ولما أخذ [illegible]
كتب العهد من [illegible] داود بن عيسى وكان على مكة والمدينة بخلع المأمون قام
في الناس ونكر نقض العهد وذكرهم ما أخذ الرشيد عليهم من [illegible]
في المسجد الحرام أن يكونوا على الظالم وأن محمدا بدأ بالظلم والنكث وخلع
أخويه وبايع لطفل صغير رضيع وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما ظلما
ثم دعا إلى خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه ونادى بذلك في شعاب مكة

نموذج من النسخة "الفارسيّة" وهي: بخط ابن الفحّام

بعثة الملك الظّاهر، فكان خَطّه فيها أقلّ أناقةً وتحقيقاً للحُروف، وأكثر تداخُلاً وإهمالاً للنّقْط. ولغَرابة أسماء المماليك وبعض البلدان والوقائع وأسماء أهل الأُمَم القديمة، فقد وردت - فيما خطّوه عنها - محرفةً أو مصحَّفَةً أو يُتْرك لها فراغ، وهذا شمل أقساماً شتّى من الكتاب وامتدّ إلى ممالك التّرك والعَجَم بخاصة. ثم ترهّل مع الزّمن ذلك الأَصْل الفارسيّ وأخذت بعضُ أوراقه تتساقط وتَخْتفي، فيَنْقل النّاسخ ما بَقِيَ منه. وندرت النُّسخ الصّحيحة من الكتاب.

يذكر المؤرخ أحمد بن أبي الضّياف[1] أنّ عليّ بن تاج القَفْصيّ الآجريّ (المتوفي سنة 1225هـ/ 1810م) وهو من أهل العلْم، أمره بايُ تونس "أن ينسخ له تاريخ ابن خَلْدون، وجمع له نسخاً جميعها محرّفة، وهو الّذي أَصْلح تحريفَه[2]"، وقد عَمَد بعض النّساخ إلى استكمال الفراغات التي تُصادفهم من مصادر أخرى[3] ممّا أدخلَ الإرباكَ والخلْط على وحدة النصّ.

وعندما بدأت الطّباعة العربيّة في الشّرق في القرن 19م كان كتابُ العِبَر من بين ما شملَته العِناية ليُنْشر ويَنْتَشر، تجاوباً مع صيت مؤلّفه. فظهر الكتاب الأول (المقدّمة) أولاً في قَطْع كبير بتَصْحيح الشّيخ نَصْر الهوريني[4] سنة 1274هـ/ 1858م،

(1) إتحاف أهل الزّمان 7: 59.

(2) يوجد من آثاره في مكتبة طلعت رقم 2106 (تاريخ طلعت، بدار الكتب المصرية) الجزء الثاني من العبر كتبه للباي حموده باشا سنة 1211هـ/ 1797م، ورأيت المقدمة بخطه في مكتبة شيخنا محمد الشاذلي النيفر.

(3) النسخة التي كتبها محمد الصغير الباجي رقم 6128 بدار الكتب التونسيّة، وكان الباجي ناسخها يعبر في حواشي الكتاب عن استثقاله للتكرار، وتساؤله عن الفائدة من إعادة التذكير والربط التي درج عليها ابن خَلْدون.

(4) الأعلام 8: 29.

معتمداً على النّسخة الحديثة التي كان الإهداء فيها موجّهاً إلى أبي فارس عبد العزيز المرينيّ.

ثم نُشِر كتاب العِبَر كاملاً للمرّة الأولى في سَبْعة أجزاء، وأعيد معه طبع المقدمة، وذُكِر تاريخُ طبعه على الجزء السابع وهو سنة 1284هـ/ 1867م مع كلمة من مصحح المطبعة محمّد الصبّاغ.

ويجدر التّنبيه أنَّ الجزء الثّاني طُبع على مَرْحلتين، فقد وُجد قسمٌ يمثّل نصفَ الجُزْء تقريباً (190 صفحة) ولم يعثر على تكملته، وبعد البَحْث أَمَدَّهم صُبحي بيك(؟) ببقيّة الجزء من مجموعته (338 صفحة) لندرة وجوده في المكتبات، وصَحّح القسمين نصرُ الهورينيّ معتمداً في عمله على كامل ابن الأثير وبداية ونهاية ابن كثير، وعلى شرح المواهب اللّدنيّة.

وواقع هذه الطبعة الأولى لكامل الكتاب، يؤكّد حقيقةَ فساد الأصول المخطوطة والمجهولة الّتي اعتُمِدت في نَشْرها، ويُشير الإهداء الذي يتصدرها أنّها استندت على المخطوطات المنقولة عن النّسخة الفارسيّة، وهذا الفَرْع من النُّسَخ يصبح أكثر تَشوُّهاً كلّما كان أحدث نَسْخاً.

وقد عارضْتُ - للتّدليل على ذلك - صحائفَ من طبعة بولاق هذه، على ما يُقابلها من نُسخَة الظاهريّ ، في جملةٍ من المواضع، وأقدّم هنا أحدَها مثالاً:

في الجزء الثالث صفحة 22 (طبعة بولاق) ينتهي فَصْلُ "سَيْر الحسن إلى الكوفة ومَقْتله "بقوله: فأشار عليه سَرْجون، [ثم بياض بقدر خمسة أسطر] .

وفي مخطوط الظاهريّ، يوجد بقيّة الفَصْل تامّاً، وبعده الفصول التالية الساقطة من المطبوع:

- [ولاية سلم بن زياد خُراسان وسِجِسْتان
- ولاية الوليد بن عتبة على الحِجاز، وعَزل عمرو بن سعيد
- خَلْع أهل المدينة يَزيد، ووَقْعة الحرّة، وحِصار مكة
- وفاةُ يَزيد وبَيْعة معاوية ابنه ومهلكه
- انتقاض أَمْر ابن زياد ورُجوعه إلى الشَّام
- بَيْعة مروان ووقعة مَرْج راهِط
- انتقاض خُراسان على سَلْم بن زياد، واستقرارها لابن حازم
- مُفارقة الخوارج لابن الزّبير
- خُروج سُليمان بن صرد في التّوابين من السّبعة
- وفاةُ مَرْوان وبَيْعة عبد الملك
- فِتْنة خُراسان]
- فِتْنة المُخْتار بالكوفة وأخباره

ويعود ارْتباط النصّ المطبوع أثناء هذا الفَصْل.

وتتكرّر مثلُ هذه الفجوات الّتي تبلغ العَشْرة والعِشْرين من الصّفحات، ويُتْرك في المَطْبوع مكان سِطْرٍ أو سطرين، وفيه إشارة تقول: بياض بالأَصْل.

هذا إلى جانِب الأَخْطاء القَبيحة في تَحْريف الأسماء، وسوء القِراءة، كَأَنْ يقول: اسْتِخْلاف زياد، بدَلَ اسْتِلْحاق زياد، وخلافة أهل الكوفة، بدل: خلاف أهل الكوفة، والجراح، بدل الخَراج. والمُطالع للكتاب تصادِفه البُقع البَيْضاء المُنْتشرة في كلّ أجزائه بدون انقطاع.

وتناسلت من نُسْخة بولاق هذه طَبعاتٌ أخرى لم تُضف غيرَ زيادة الأخطاء، وليس فيها للتحقق جُهْد ولا للعِلم أَثر، فابتعَدَ النصّ الخَلْدونيّ عن البحث التاريخيّ، ولم يأخذ موقعَه اللاّئق به. وربّما كان الكتاب الأوّل أكثرَ حظاً وأقلّ تعّرضاً للاختلال، لما لحقه من العناية والتّصحيح، ولكنّه يَبْقى غير سالم من النقص والتّحريف بنسبة أقلّ، مع أن أكثر الطّبعات نقلَت من بَعْضها بدون جُهْد تَصْحيح على الأصول، وفي حالة واحدة حاول الدكتور عبد الواحد وافي يرحمه الله، أن يستشير بعض مخطوطات دار الكتب المصرية ولم يتجاوَزْها، واهتدى إلى النّسخة التّيمورية المنقولة عن الأمّ نسخة عاطِف مصطفى؛ فصوّب الكثيرَ ممّا شاع من الخطإ. ولو أن المُسْتوى الفنيّ لطبعته كان ضعيفاً للغاية، وأنّه وَجّه جُهْده إلى التعليق على ما يتّصل باختصاصه في علم الاجتماع، ورَبَط مادَّة المقدمة ببعضها ما استطاع، وشرْح الكلمات من القاموس؛ ولما في عَمله من ضُعْف، فقد نقده الدكتور عبد الرحمن بدوي[1]، واعتبر نشرته غير علميّة، لأنّها لم تقم على قواعد مَنْهج التّحقيق النقديّ للنصوص. ومع كلّ هذا، فقد استُغِلّت طبعتُه، ونُهِب نَصُّها. واختُصِر ما به الحاجة من تَعاليقه، تعميةً وتمويهاً لا يخفى. أما عن متابعته لحياة ابن خلدون فقد كانت وافية.

(1) مؤلفات ابن خلدون 222 .

وفي أوربّا وفي غير البلاد العربية ظهرت ترجمات[1] ونشرات نقدية جزئية من المقدمة والتاريخ؛ من أهمّها، عمل Etienne Quatremère الّذي نشر المقدّمة[2] في السّنة التي ظهرت فيها بمصر نَشْرةُ الشّيخ نصر الهورينيّ سنة 1858م ، وهي نشرة مهمّة لم يُستفَدْ منها في كلّ ما ظهر من نَشرات في المَشْرق العربيّ، ويبدو أن السّبب نُدرة هذه النّشرة واحْتجابها عن أَعْيُن الدّارسين قبل أن تَنْتشر أخيراً بالتصوير. وَميْزة عمل كاترمير أنه اعتمد أَربع مخطوطات اتّجه لانتقائها لأوّل مرّة من بعض الأصُول المهمّة في مكتبات إستانبول ، ولم يتعاملْ معها مباشرةً وإنّما انتُسِخت من هناك عن نسخة الظاهريّ بأجزائها الأربعة عشرة ، ثم المخطوط الّذي اشتُري من تركيا وحُفظ بعد ذلك مع النسخة المنقولة عن الظّاهريّ في المكتبة الوطنية برقم 1733 .

واستعمل في نشرته المنهج "اللاّأنْتشماني" في النّقد النصيّ، وحرص على إثْبات فُروق النّسخ في الحاشِية، وإلى جانب بَعْض المآخذ التي حُسِبَتْ عليه، ومنها إسْقاط نصّ إهْداء النّسخة الّتي اعتَمَدها للمَلك الظّاهر برقوق، فإنَّ نَشْرَته ظهرتْ مُتَسلسلةً لا وقْفَ فيها ولا ابْتداء، فلم يستعمل أيّ شكْل من أشكال التّرقيم الّتي تُساعد على فَهْم النصّ، وإبراز فَواصِله، وإيضاح جُمله الطّويلة، ولم

[1] انظر تفاصيل ذلك عند عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خَلْدون 169 ، وما بعدها، وموسوعة المستشرقين 311- 314 .

[2] لعلّه أول من أفرد وروّج للكتاب الأول من العبر، باسم: مقدمة ابن خَلْدون PROLÉGOMENES D'EBN-KHALDOUN ، على حين ظهرت طبعة الشيخ نصر الهوريني على أنها الجزء الأول من كتاب العبر.

يَضْبط أيّ كلمةٍ كانت علماً لشَخْص أو لبلَدٍ أو قَبيلة، وهـذا يجْعـل الاسـتفادَة منهـا محدودةَ، وتحتاجُ إلى بَذْل جُهْد إضافيّ للتّدقيق ومُتابعة المَعْنى.

ونَشر Le Baron de Slane القِسمَ الرابع من الكتاب الثّاني ، ثمّ الكتابَ الثّالث بأكمله ، وهو الّذي فيه " الخبرُ عن زَنَاتة من قبائل البَرْبر وما كان بين أجيالهم من العزّ والظّهور ، وما تعاقَب فيهم من الدّول القديمة والحَديثة "، وظهر هذا العمل في الجزائر في جُزأين كبيرين سنتَيْ 1847 و 1851 بعنوان : "كتاب تاريخ الدّول الإسلاميّة بالمغرب[1] ". وهو أسبق ظهوراً من طَبْعة بولاق الّتي لم تستفد منه في تَصْحيح الأجْزاء المُتطابقة والمختلفة الأصول.

إن ترادُفَ نَشرات المقدّمة في نَصّها العربيّ، وتوالي التركيز على البُحوث الاجتماعيّة والعُمْرانية التي تضمّنتْها، بالإضافة لما يُنْشر في أوربا عنها بالغاً أقْصى حدود الكَثْرة الّتي تعدّ بالمِئات ما بين كُتب ودراسات، كلّ هذا، فَصَل المقدّمة أو الكتابَ الأول عن جَسَده، وأَصْبح وكأنّه عملٌ مُستقلّ حَجبَ كتابَ العِبَر وقلّلَ من ذكره، ولم يُقْبِل الباحثون على ابن خَلْدون المؤرّخ، وعلى جوانبه الّتي يَنْفرد بها في تاريخ البربر والمغرب الإسلامي، لما عليه طَبْعة بولاق الوَحيدة من أخطاءٍ وأنْقاص وسوء طِباعة.

وأدرك هذا الخلل في هذا المصدر المهمّ، نخبةٌ من مفكّري الثلاثينيّات، فعملوا على إصْدار طبعة جديدة محقّقة من الكتاب، وابْتدر النّاشر محمد المهدي

[1] انظر تفاصيل ذلك عند عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خَلْدون 195 ، وما بعدها .

الحبابيّ لتبنّي المشروع، وازداد إلى العمل فيه الأستاذان علاّل الفاسي وعبد العزيز ابن إدريس - رحمهم الله - فتوليّا مراجعة الكتاب وضبط أعلامه، وشَرْح ما احتاج إلى شَرْح وتَعْليق من عبارات المؤلّف، والكَشْف عن مادّة الكتاب بوضع عناوين جانبيّة صغيرة، وإعداد فهارس مفصّلة جيدّة في الآخر. فصدر سنة 1936م[1] جزآن، اسْتَوْعَبا الجزء الثّاني بقِسْميه من طَبْعة بولاق، يَبْدآن من أول الكتاب الثاني "في أخبار العَرب وأجْيالهم ودُوَلهم منذ مَبْدإ الخليقة إلى هذا العهد" إلى "بَيْعة الحَسن وتَسْليمه الأَمْر لمعاوية".

وأثنى النّاشر على الّذين لاقى منهم المُساندَة والعَوْن، واعتذر المحقّقان أو المصحّحان، بأنَّ أملَهما في النّسخة الفارسيّة الّتي كانت بالقرويّين قد تلاشَى، لضياع سِفْرها الأَوّل (كذا)، وبذلك اضطُرّا للمراجعة على المصادر الّتي اختصر منها ابنُ خَلْدون نَصّه. وبذلا الجهد في ضَبْط الأسماء، واستفادَا من نُسْخة الشّنقيطيّ المحفوظة بدرا الكتب المصرية (رقم 1 ش تاريخ)، والّتي كُتبت لخزانة الخليفة الشّريف ابن مولانا إسْماعيل ابن مولانا الشّريف ابن أبي الحسن العلوي[2].

وردّد الأستاذ أحمد أمين ما ذكره النّاشر من أن وزارة السّلطان محمد الخامس قد أذنت له بالمراجعة على نُسْخة ابن خَلْدون الموقوفة على القرويّين، عدا الجزء الأول، وذلك تعميماً للفائدة. وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا لم يَعْتمد الجزءَ الثّاني في نَشْر القِسْمين الّذين اضطلع بهما؟.

(1) طبع الجزآن في مطبعة النهضة بمصر ، وطبع معهما جزء مُنفردٌ من التّعاليق والحواشي المطوّلة على بعض موضوعات الكتاب ، حرّرها الأمير شكيب أرسلان.

(2) انظر عن وصف هذه النسخة، بدوي: المرجع السابق 84- واعتبرها من النسخ الرديئة ، ص 235 .

وقد فَتَر هذا المشروعُ الّذي انطلق بحماسٍ سَرْعان ما خَفَت، ولم يَعْرف القائمون عليه كيف يَبْدأون البدايةَ الصّحيحة. وتحوّل إلى اجتهادٍ في التّصحيح المُطْلق من غير استنادٍ إلى أصولٍ صحيحة للكتاب نفسه.

ولكنَّ أهمّ ما قدّمه هذا المشروع وَقْتها من رَمْز متّسع الدلالة، هو أنّ تلك النخبة[1] التي آزرت النّاشر والتفّت حوله، وتعهّدت بإعداد أَجْزاء الكتاب، كانت عميقة الإيمان بأن عبد الرّحمن بن خَلْدون، الحَضْرميّ الأصول، التّونسيّ المولد والنّشأة، الأَنْدلسيّ المغاربيّ في تَجْربته وتطوّر وَعْيه، المصريّ الذي أَنْهى حياتَه في رحاب القاهرة، بعد تقلّب الزّمان عليه بالخَفْض والرَّفْع، أنّ هذا التونسيّ الضّارب في الآفاق الباحث عن مستقرّ، قيمةٌ إنسانيةٌ كُبْرى، ورمزٌ بارز ومتفرّد من رموز التّنْوير، وحصيلةُ ثقافة عظيمة. وبذلك تمدّد وطنه في الشّرق والغَرْب، وملأ الدّنيا وشَغَل النّاس، وأصبح تراثاً إنسانيّاً .

ولا أشكُّ في أن ظهورَ مَشْروع الحبابيّ سنة 1936 واختفاءه فجأةً، كان له أثرٌ في عقل الوافد الجديد من طَنجة على القاهرة سنة 1938، فقد وطّد الشّاب العالِم محمد بن تاويت الطّنجيّ صِلَته الحميمة التي لم تنقطع بابْن خلدون، بعد أن تشبَّع بالثقافة العربية الإسلامية في رحاب القرويّين بفاس، وأخذ عن كبار شُيوخ عصره، وعندما الْتحق بجامعة القاهِرة، كان تميّزه لافتاً لأساتذته الّذين استَنْجبوه، وأحاطوا

[1] هم كما في الوثائق: علال الفاسي، عبد العزيز بن إدريس (المغرب)، الخضر حسين (تونس)، أحمد أمين، عبد الحميد العبادي، عبد الوهاب عزّام (مصر)، محمد كرد علي، خير الدين الزركلي (سورية)، شكيب أرسلان (لبنان).

بتكْوينه العلميّ، وتعميق نَظره، وتثبيت مناهج البحث عِنْده. فتقدّم للميدان بخُطىً ثابتة.

درس على الدكتور طه حسين وأحمد أمين وأستاذه أمين الخولي وغيرهم من علماء تلك الحِقْبة الحافِلة، وأثرُ هؤلاء بَيّنٌ في فكره وعمله، وفيما كتبه من أبحاث جَديدة النَّتائج، وما قدّمه من نُصوصٍ مختارة محقّقة أمْثَل تحقيق.

وسعدت بمعرفته وهو في أَوْج تألّق ذهنه في إستانبول، مستقرّه الأَثير الّذي بدأ فيه مُغامرة هجرته، وفارقَه ثم عاد إليه العَوْد الأخير عندما نَبَت به الأَوْطان. وامتدّت الصّحبةُ بيننا عند تردّدي على عاصمة بني عُثْمان، وعند زياراته المتكرّرة إلى دِمشق الّتي كنت أقيم فيها وقتها خبيراً في المديريّة العامة للآثار والمتاحف، وحفظت عنه صورةً لعِلْمه وتواضُعه وإخلاصه في بَعْث مقدّمة ابن خَلْدون، بعد أن نشر "التّعريف"، وذلك على منهج تناول به عمله على مدىً امتدّ أكثر من عقدين؛ فلا يَمُرّ بدِلالةٍ اصطلاحيّة إلاّ شرحها وحَدّد مَفْهومها، أو بإشارةٍ لحَدثٍ من التّاريخ أورده المؤلّف للمُقايَسة والتّذكير بربْط أَسْبابه وما يترّتب عليها، إلاّ تَوسّع في عَرْضه وبَيّن منه ما كان غائباً، ولم يُذْكر كتابٌ صُنّف في علْم من العُلوم إلاّ لاحقه وَوَصل بك إلى الرّفّ الذي يَقْبع فيه مَخْطوطاً، مع رقْم الوصول إليه محدّداً.

وقد قام بهذا الجُهْد المديد مستمتعاً به، متحرراً من وَهْم سَبْق النَّشر، وبَذَل فيه طاقةً من العلْم والفَهْم والصّبر لا تُتاح لغيره.

ثم فارق دُنيانا سنة 1975، واختفى معه جهده وأَثَره[1] .

وقد اعْتمل في نَفْسي هذا المصير المأساويّ الذي انتهى إليه ما أعدّه هذا العالم المغربيّ المغترب، في تراث المفكر التونسيّ الذي بَددته الغربة، وأخذ هذا الشعور عندي يتحوّل إلى خُطّة تهدف إلى تحقيق وحْدة كتاب العِبَر بكتبه الثّلاث، ومحاولةَ التّوصّل إلى إعادة تركيب نصّه، ليكون أقربَ إلى الأصل الذي صَنعه عليه مؤلّفه، متخلّصاً من الأَخطاء التي تراكبت عليه مع الزّمن. وأداةُ هذا المَنْهج وضعُ شَجَرة نسبٍ للنُّسخ المَخْطوطة ، وتَمييز النّسخ الكثيرة الّتي لا قيمة لها في بناء النصّ وإسْقاطها ، وتَغْليب القِراءة الأَصْعب على القراءة البَسيطة ، وهو ما يحقّق النّقد النصيّ، على أسلوب العالم الألماني كارل لاتشمان Karl Lachman (1793- 1851م)"[2] .

فقمت على مدَى سَنوات متلاحقة، بزيارة المكتبات الكُبْرى الّتي ضمّت أجزاء من تُراث ابن خَلْدون، وفَحَصها فَحْصاً أثرياً واعِياً شمل الجانب الكوديكولوجي للتأكّد من عَصْرها، ولتَبْيين ما سكتَتْ عنه الحروف المكتوبة؛ وتصفّحتُ المجلّدات المُختلفة بحثاً عن أثرٍ أهْتدي به، أو تَعْليق في الحاشية بخطّ مُغايرٍ ينْبِيءُ عن صاحِبه، ويوثّق النّسخة ويُضْفي عليها قيمة لم تُكْتَسب لها؛ وألْممتُ بأكْبر عدد من فهارس المخطوطات، ممّا تجمّع خاصّة في مكتبة مؤسّسة آل البَيْت

[1] كان قد حقق كتاب الفهرست لابن النديم على النّمط الصعب من العمل، وأثراه بالبيانات التي تجعل منه بحق مصدراً لا يُدانى في التعريف بأصول الثقافة العربية. وقد أطلعني عليه بدمشق ، ودَثر فيما دَثر بعده.

[2] من تقديمي لكتاب أ.د. بشار عوّاد : في تحقيق النص . (دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2005).

للفكر الإسلامي في عمّان (المجمع الملكيّ لبُحوث الحضارة الإسلاميّة - سابقاً)، وعددها تجاوز الألفين والثّلاثمائة فهرساً. وفَتحتْ لي الصّداقاتُ - الّتي أعتزُّ بها - مغالقَ المكتبات الخاصّة، وكان كلّ ذلك على زَمن طال، وتيسّر لي فيه بعد كلّ ما رأيتُه ومِزتُه واستوعبتُه، أن أُعدّلَ خطّة العَمل في ضَوْء واقع تُراث الرّجل ومُستوى الأُصول الباقِية من أعماله والمتّصلة به مُباشرة، بما خطّه عليها من إضافةٍ وتَعْديل. وكان بعضُ هذه الأصول معروفاً في مَواقعه، وبعضُها ممّا وُفّقتُ لاكتِشافه وتحديد نِسْبته وعَصْره. وأصبح بالإمكان أن يُنْشر كلّ الكتاب مُوثّقاً بأُصول المؤلّف وليس غيرها ، إلاّ في حالاتٍ نادرةٍ وجُزئيّة يمكن فيها استشارة بعض الأجْزاء ذات المَرْتبة الثّانية من التّوثيق .

وكانت مَخْطوطة الظّاهريّ - ويَردُ وصفُها وتحليلُها - هي النّسخة الوحيدةُ الّتي وصلَتْنا من هذا المستوى الموثّق في نِسْبته، كاملةً، ومجزّأة إلى أربعة عشر جزءاً، ونَعْرف تاريخَ نَسْخِها على التّحديد. وأمّا بقيّة الأصول المعتمدة الأُخرى فتتفاوتُ أجزاؤها الباقية من واحدٍ إلى أربعة حَسب التّقسيم السُّباعي للكتاب.

واعتباراً لأن هذا المخطوط "الظّاهريّ" يكوِّنُ العمودَ الفقريّ لكلّ العِبَر، ويستمر استعماله في مُعارضة كلّ الكتاب مع الأجزاء المعتمدة الأخرى، فقد اتّخذناه بدءاً بالكتاب الأول (المقدمة) أساساً للنصّ، نُثْبت سِياقه كما وَرَد، ونُضيف إليه بين حاصرَتيْن ما تضيفُه النّسخ المقابِلَة من إيضاح أو تَمْديد لجُمْلةٍ أو إلحاقٍ لفائدة. وفي حالة خطإ ناسخ الظّاهريّ نعوّض قراءَته أو ما أخطأ فيه بالقراءة الصّحيحة، ونُنَبّهُ على ذلك في الفروق.

واستفادةً من ضَبْط تاريخ هذه المخطوطة وهو سنة 797هـ/ 1394م، فقد استطَعْنا أن نؤرّخ الكثيرَ من الأجزاء الّتي لا تحمل تاريخ كتابتها، وأمكن الاستدلال على ذلك بما نقص منها أو طرأ عليها من زياداتٍ تجاوزت بها نصّ الظّاهريّ أو نقصت عنه.

وقد تجمّع لنا من الكتاب الأوّل (المقدمة) خمس مخطوطات، فكان بذلك أكثرَ حظّاً في التّأْريخ لنَصِّه والتّوثيق لمحتواه، خاصّة بما تميّز به من وُجود مسوّدة المؤلّف (مخطوطة عاطف مصطفى، ويرد الحديث عنها) الّتي صاحبَتْه حياتَه بمصر، رَغْمَ ضياع الكرّاس الأخير منها[1].

فقد تمكّنا بعد المقابلة والمُقارنة بين هذا الأصل الأُمّ، وبقيّة الأصول التي عليها أثر المؤلّف، أن نُرتّبها ترتيباً تاريخياً لتفاوُتها في نَقْل أقسامٍ من الحواشي والإلحاقات المُضافة عليها بحسب ما وصل إليه تسجيل ابن خَلْدون وقتَ نَقْل كلّ نُسخة، بما في ذلك نُسخة الظّاهريّ.

ونحدد هذه الأصول المخطوطة المعتمَدَة في نَشْر الكتاب الأول، حسب المنهج الذي التزمناه في اعتماد خَمْس نُسخ لا سادِس لها - فيما عَلمناه - وهي:

1 ● مخطوط عاطف مصطفى (وهو مسوّدة المؤلّف)، ورمزنا له بالحرف (ع)

2● مخطوط مكتبة السّلطان أحمد الثّالث ، ورمزنا له بالحرف (ي)

(1) وهذا له شأن كبير فيما يعرف بالنسخة الأمّ ، لأن بعد الخاتمة تُسجّل القراءات والسّماعات ومن نقل منه ومن حضر مجالس قراءته دراية، إلى غير ذلك من الإفادات .

3 ● مخطوط الظّاهريّ ، ورمزنا له بالحرف (ظ)

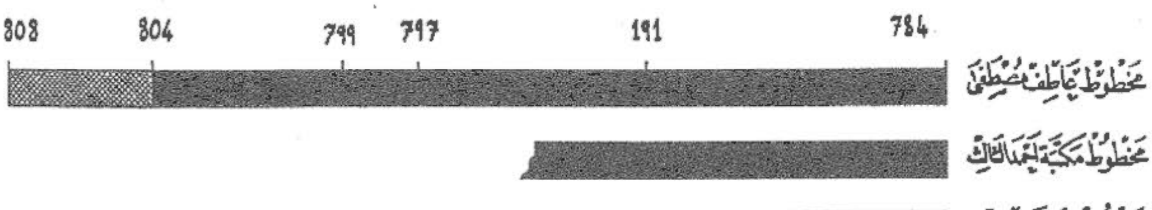
4 ● مخطوط حالت أفندي ، ورمزنا له بالحرف (ل)

5 ● مخطوط ينيّ جامع ، ورمزنا له بالحرف (ج)

وقد رتبناها هذا الترتيب كما ذكرنا استناداً إلى المفاصل الزمنية المضبوطة من حياة النسخة الأم التي تمتد من وصول المؤلف إلى القاهرة إلى وفاته، والتواريخ المثبتة على بعض النسخ الأخرى (ظ، ج) والمدَى الّذي وصلَتْه النّسختان الباقِيتان (ي، ل) في نَقْل الحواشِي.

وهذا بيان تحليلي بالمخطوطات الخمس المعتمدة ، والمشارُ إليها :

المخطوطات المعتمدة في تحقيق هذا الجزء من الكتاب الأول (المقدمة) وحضورها الزمني



1 مخطوط عاطف مصطفى (ع)
مكتبة عاطف – رقم 1936

إنّ نُسخة مكتبة عاطِف مصطفى[1] رقم 1936 في إستانبول ، هي أهمّ النّسَخ الباقية من نصّ المقدّمة [الجزء الأول من العِبَر]، وأكثرها الْتِحاماً واتّصالاً بحياة مؤلّفها، وهي سجلٌّ واضح موثّق بخطّه ، للإضافة والتّعديل والتّصويب والتّنقيح والتّهذيب، الّذي أدخله على هذا القِسْم من الكتاب ، على مدىً مُتّصل ، يبدأ من تاريخ استِقْراره بمِصْر - باعْتبار خطّ مَتْن النّسخة المَشْرقيّ - إلى أواخر حَياته ، كما تدل الإضافات التي بَقيت، أو التي كانت مُثْبتة عليها قبل أن تُفْقَد ، وقَبْل ضياع الكرّاس الأَخير من هذا الأصل.

وأبْعاد هذه النسخة 26.5 X 18.5 سم ومساحة المكتوب في صحائفها 13 x 20 سم، ومَسْطرتها 25 سطراً، وتجليدُها مَمْلوكيّ معاصِرٌ لكتابتها، وهي مغشّاة بجلد بُنيّ قاتِم، تتوسّط دُرْفَتيه زخرفةٌ على هيئة (شكل ليمونيّ مُدبب الأطراف) تطوّقه خيوط مضفّرة، وينتهي طرفاها بعَمودَيْن مضفّرين، يَنْتهيان قريباً من أَعْلاهما بضَفيرة رُباعية.

(1) كان عاطف مصطفى بن مصطفى الإستانبولي الدّفتري، - رئيس الدفترداريّة- في عهد السّلطان عبد المجيد الأوّل؛ وقد بنى مكتبته سنة 1741م وبها 2406 مخطوطاً عربياً.

وورقُ المخطوط سميكٌ جَيّد الصّقل، يميل إلى صُفْرة فاتِرة، وَورَقتا الخَريطة المتقابلَتَيْن هي من أصل النُّسخة ومادّتها، ولَيْستا مُضافَتَيْن.

وتتصدّر النُّسخةَ أوراقٌ بَيْضاء، أُقْحمت عليها أثناء التَجْليد، سُجّلت فيها إفاداتٌ لُغويّة، وإحالاتٌ على ما اشْتمل عليه الكتاب من نُصوصٍ مُهمّة، كرسالة عبد الحميد الكاتِب للكُتّاب، ووَصيّة طاهِر بن الحُسيْن لابْنه عبد الله، وذكْر الحالومَة، مع الإشارة إلى رَقْم الصّحائِف.

ثم يَليها فهْرسٌ مُفَصّل في صَفْحتين، كُتب بخطّ التعليق، بحِبْر أسود، ورَقْم الصّفحة تحت كل مَوْضوع بالحِبْر الأحمر، ولم يَلْتزم واضِعُه بذكر فُصول الكتاب كما وَرَدت، وإنّما عمد إلى إجْمال مَعْناها ومُحْتواها؛ ويُفهرس لمَوْضوعات داخِليّة وردَتْ ضِمن الفَصْل، وأبرزَ كتابةَ بعض العناوين الّتي تَغْنيه بالحبْر الأَحْمر، وبادَلَ أرْقام صَفحاتها بالحبْر الأَسْود.

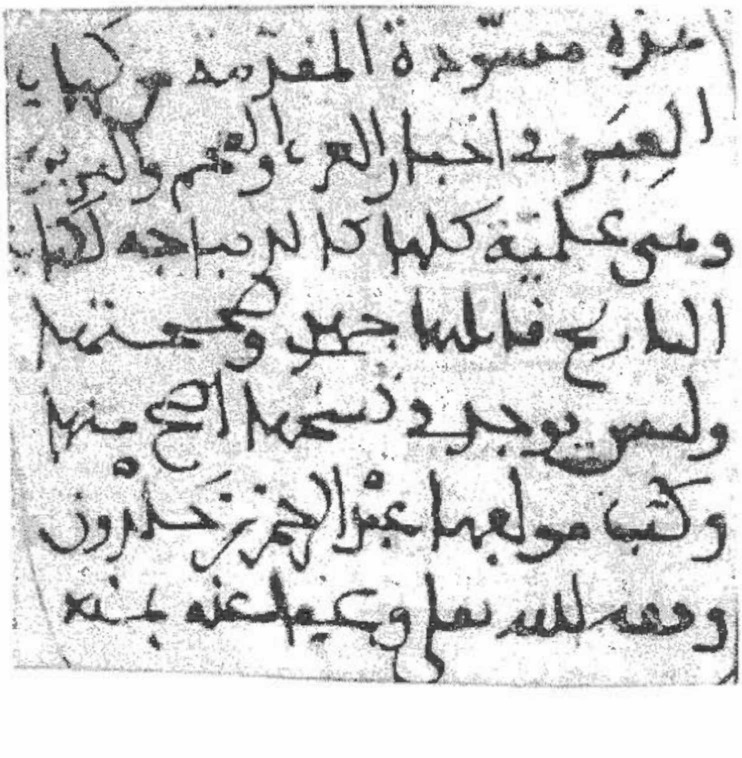
وأرقامُ الصَّفحات في هذا الفِهْرس غيرُ مُتطابقة على أيّ اعْتبارٍ، سواءٌ بحساب ما يَتقدّم النّسخةَ من أوْراقٍ أو بدونها.

ثمّ يلي ما تقدّم ترجمةٌ قصيرة للمؤلف مَنْقولة عن السّخاويّ. وفي صَفْحة تامّة تَقْريظٌ كتبه بخطّه محمّد بن يوسف بن محمد الإسفيجابيّ[1] - ولا نَعْرفه - يوم السّبت 24 شعبان سنة 804هـ/ 29 مارس 1402م، بعد أن: "اتّفق له مُطالَعة هذا السّفرِ الأوّل من كتاب العِبر، في أخبار العرب والعَجم والبربر، فوجده - كما يذكر -

(1) نسبة إلى إسفيجاب، بفتح الهمزة كما ضبطها ياقوت، من بلاد ما وراء النّهر في حدود تركستان، وكانت واسعة العمارة، ثم نكبت على يد خوارزم شاه، ثم بالتّتار سنة 616هـ / 1219م، انظر معجم البلدان 1: 179، ابن سباهي زاده: أوضح المسالك 151.

مـشحوناً بالفوائـد الكثـيرة، والعوائِـد الجمّـة الغَزيـرة، لم يُـسبق بمـثله في الإحاطـة باللّطائف، والاكْتناز بكُنوز الفَوائد الطَّرائِف، دلّ بحسن تركيبه، وغَرابة نَظْمه وتَرْتيبه، على كَمال مُصَنّفه في الدّراية، وسَبْقه على الأقْران في الحِفْظ والرّواية، وكَتَب هـذه الأَسْطرَ بعد الوُقوف على مآثر هذا الكتاب، تذكرَةً لصاحِبه مُتّع به وبأمثاله".

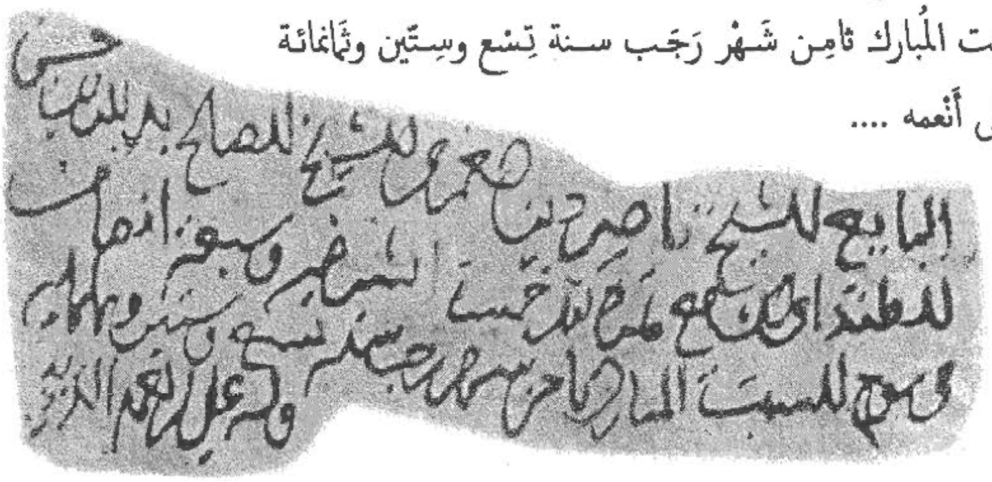
وبَعْد هذا يَبْدأ نصّ الكتاب بالصّفحة الخارجية المخصّصة عادةً للعُنوان، والتي حَفِظَت قِصَّته وصَيْرورته ورحْلَتـه الطّويلة مـن القـاهِرة إلى مكّـة إلى خَـزائن دار الخِلافة في إسْتانبول. فعلى الزّاوية اليُسْرى من هـذا الصّفح، مُربّعٌ مَحْصور بإطار أَحْمر، كتَب فيه ابنُ خَلْدون بخطّه الأندَلسي الواضِح الشّبه بخطّ "العَلامَـة التي كان يكتُبها" شهادةً تُوَثّق أهميّة هذه النّسخة الأُمّ من مقدّمة العِبَر، بعد أن صاحبَتْه حِقْبةً مديدَة من الزّمن، أجْرَى علَيْها وعلى الكتاب ما أَجْرى من مراجعات وإضافات، وألْـحَق بمجموعـه كلّـه مـن الإلغـاء والتعـديل والإلحـاق والإكْمال الّذي مـن أوْسـعه استكمال أكثر مواد الجزء الخامس الخاصّ بالعَجَم. وفي هذه الشّهادة يقول:



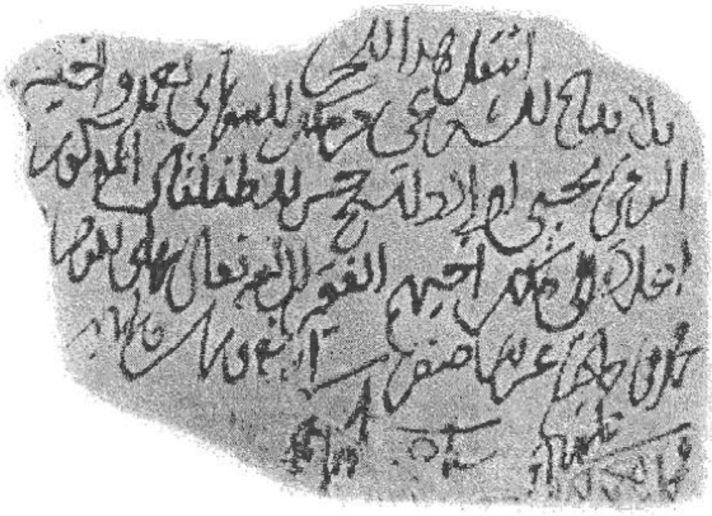
"هذه مُسوّدةُ المقدّمة من كتاب العِبر، في أَخبار العَرب والعجـم والبربـر. وهي عِلْميّـة كلُّها كالدّيباجة لكتاب التاريخ، قابَلْتُهـا جَهْـدي وصَحّحْتُهـا، ولـيس يوجَـدُ في نُـسَخـها أصحُّ منهـا. وكتـب مُؤلّفُها عبدُ الرحمن ابن خَـلْدون وفّقـه الله تعالى، وعفا عنه بمَنّـه".

وينتشر على بقيّة الصّفحة مجموعةٌ من التملّكات المتزاحمة، والأختام، أكثرها مؤرَّخ، نعرض لها ونقدمُها مرتّبة بحَسب تلك التّواريخ، الأَقْدم فما يليه، وهي تُظْهر رحلةَ الكتاب منذ خَرج من يد ورثة صاحِبه الظّنين به، إلى مُستَقَرّة الأخير:

1• البايع الشيخ ناصر دين الغمري للشّيخ الصالح بَدْر الدين حسن الطّنتدائي[1]...، مع ثمن الكتاب خمسة أَشرفيّة وسَبْعة أَنْصاف، في يوم السّبت المُبارك ثامِن شَهْر رَجَب سنة تِسْع وسِتّين وثمانمائة / وله على أنعمه ....

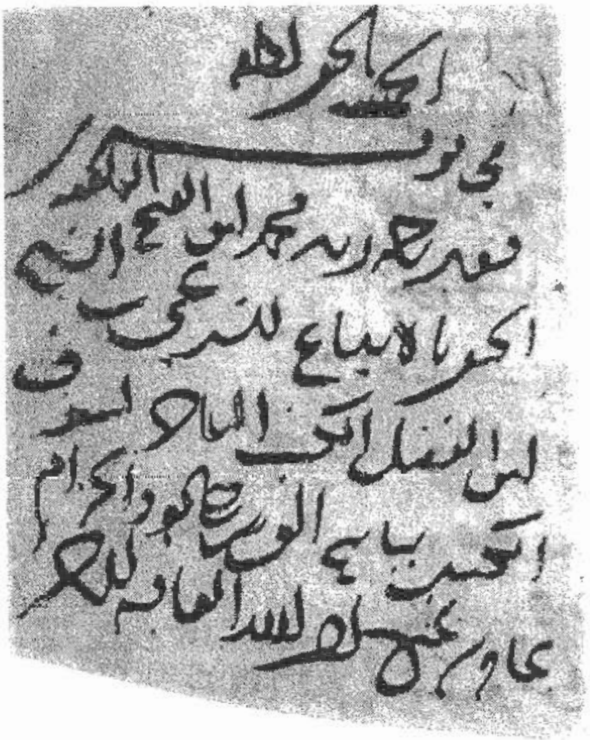


2• انتقل هذا الجُزء/ بالابتياع الشّرْعي من مِلْك الشهابيّ أَحْمد وأخيه/ الرقي (كذا) يحيى أولاد الشّيخ حسن الطّنتَدائي المَذكور / أعْلاه، إلى مِلْك أخيهم الفَقير إلى اللّـه تعالى [مُحيي] الدّين / محمّد في حادي وعشرين صَفر سَنة أَرْبع وثمانين وثمانمائة

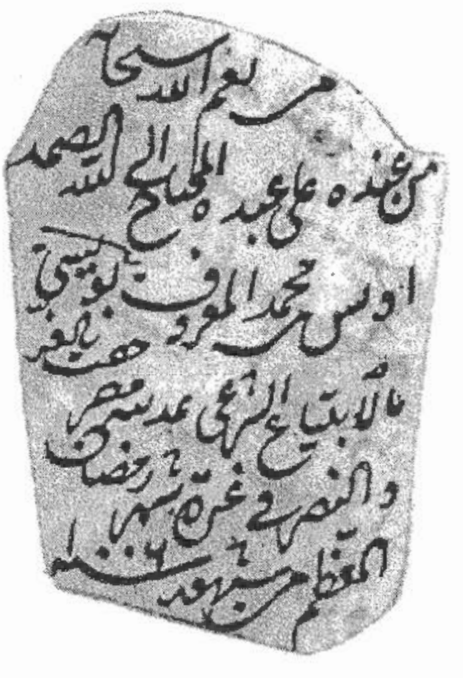


(1) هو حسن بن أحمد، المقرىء الضرير، ولادته سنة 802هـ/ 1399م، ووفاته سنة 888هـ/1483م . (السخاوي: الضوء اللامع 3: 94).

•3 الحمد لله الخفيّ لُطْفُه / في نَوْبة/ فقير رحمة ربه، محمّد أبي الفتح [الرا ...] / الحَنفيّ، بالابْتِياع الشّرعيّ مـن الـشّيخ/ أبي الفـضل المـكّي التّاجر بسوق/ الكبير[1]، بتاريخ ألـف مـن رَجـب الفـرد الحـرام/ تمـام.... أحـسن الله العاقبـة للـ... [خير]



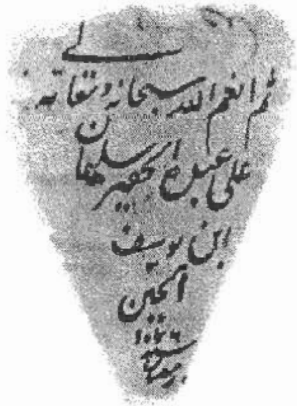
•4 من نِعَم اللّه سُبْحانه/ من عِنده، على عَبْده المُحتاج إلى اللّـه الـصَّمَد،/ أُوَيْـس بـن محمّـد[2]، المَعْـروف بويـسي،/ بالابْتِيـاع الشّرْعيّ بمدينة مِصْر، خُصّت بالعِزّ / والنّصْر، في غُرّة شَهْر رَمضان / المعظّم، مـن شـهور سـنة 1006 (إبريل 1598م).



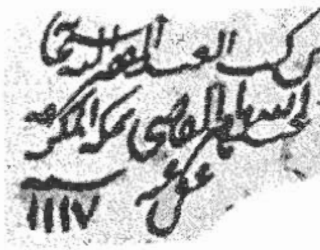
[1] ربما تُقرأ : الكتب .

[2] ويُعرف أيضاً باسم ويسي أفندي، شاعر وكاتب تركيّ (1561- 1628م) درس في المدارس العثمانية، وعُين قاضياً في مصر والأناضول والروميلي وأسكوب ، اشتهر بكتابة النثر المسجّع ، وبنظم شعر الغزل . انظر Meydan Larousse XX,19 ص 137 (إستانبول 1992).

•5 ثمّ أنعم اللّهُ سُبْحانه وتعالى به/ على عَبْده الحقير سُلَيْمان/ بن يوسف الحِيْن (كذا) رمضان سنة 1076هـ (مارس 1666م).



•6 من كُتُب العَبْد الفقير إليه سُبْحانه،/ عَبْد اللّه باهر، القاضِي بمكّة المُكَرمة، عُفِي عنه، سنة 1117هـ/ (1705م).



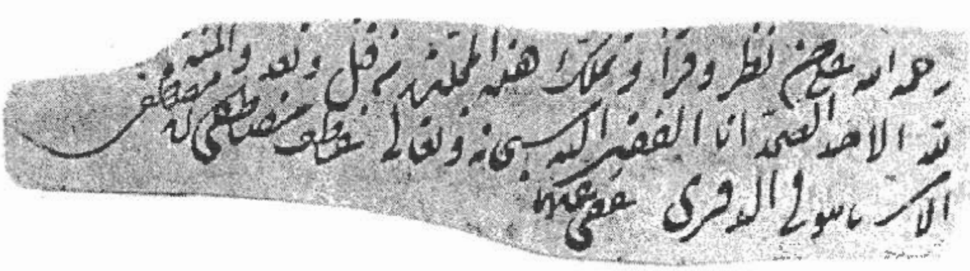
• ختم مُستدير به:



•7 وَقف هذا الكتاب/ الحاج مُصْطفى/ عاطف، بشَرْط أن/ لا يخرج من خِزَانته/ 1154هـ (1741م).

وفي الصّفحة بخطّ المتملّك الأخير الوَاقف، بعد كلام:

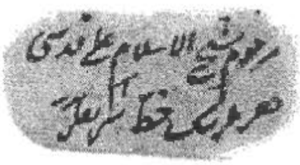
رحمة اللّه على من نَظَرَ وقَرَأ، وتملَّكَ هذه المجلَّدةَ من قَبْل وبَعْدُ، والمِنّةُ للّه الأحَد الصَّمَد. أنَا الفقيرُ إليه سُبْحانه وتعالى عاطِف مُصطفى بن مُصْطفى/ الإسْتانْبولي الدّفْتَرِيّ عُفِيَ عنهما.



• تملكات غير مؤرخة:



8• من نِعم اللّه تعالى على علي بن غانم الخَزرَجيّ المَقدسِيّ



9• مَرحوم شيخ الإسلام علي قدسي حضرتلر خط شريفلر ...

• خَتْم صَغير به:



10• وبالشّكر / تَدومُ النّعم كلُّها

• تملّك غير واضح :



11• لم نتمكن من قراءته لتشظّي حروفه ، ويقرأ في السطر الأخير: عبد الله بن أحمد المولوي عفي عنه.

وفي ظهر صفحة الشّهادة والتملّكات والأختام، يبدأُ الفِهْرس الّذي صَنَعهُ واعْتَمدهُ المؤلِّفُ نَفْسه للكتاب الأول، قبل أن يضيف عليه ما أَضاف، وهو فِهْرس مُتابِعٌ لفُصول هذا الكتاب الأوّل واحِداً واحداً، وفي بعض حواشِيه بعضُ التّعديلات المهمّة بعد إلغاء النصّ من سِياقه، وإضافة البَديل في الحاشِية، بخطّ ابن خلدون، وهي إصلاحات نجدها مُعْتَمدة ومَنْقولة فيما كُتِب بعدُ من النّسخ المُعاصرة الأُخْرى. من ذلك ما وَرد في نصّ الفِهْرس: "في أنّ الأعجامَ من عُلماء الملّة قاصِرون عن ملَكات العُلوم من عُلَماء العَرب". وأُدْرِج في الحاشية بعد إلْغاء هذا، بخطّه: "في أنّ العُجْمة إذا سَبَقَت إلى اللِّسان، قَصّرَت بصاحِبها في تَحْصيل العُلوم عن أَهْل اللّسان العربي"، وسنوردُه بنصّه الكامل آخر هذا التعريف لما له من أهميّة - ولو جزئياً - في المساعدة على تأريخ تطوّر المقدمة. وبأَعْلَى سُطور هذه الفِهْرسة، كتب مصطفى عاطف صاحبُ النّسخة: "إتمام تأليف الكتاب 804هـ(1402م)؛ وقد أَرْبك هذا النصّ بعض من درسوا هذا المخطوط وأوقَع الكثيرَ في الخَطأ، وتابعوه عليه واعتبروه في تاريخ التأليف؛ وربّما اسْتند ذلك عنده إلى تاريخ تَقْريظ الإسفيجابيّ المتقدّم ذكرُه.

وفي أسفل صفحة منفردة يتقدّم نصّ الكتاب، أعاد صاحب التملك رقم (3) المتقدّم إثبات ملكيته بالخطّ المتقدّم نفسه، تتّضح بعض كلماته متطابقة مع ما سبق، وتَنْغلق الأخرى بسبب التداخل وتفشّي الحبر حول الحروف.

ويبدأ نصُّ الكتاب الأوّل من العِبَر (المقدّمة)، في ظهر صفحة العنوان، بعد البسملة مباشرةً، بما اسْتَهلّ ابن خَلْدون هذه النّسخة به، فقد كَتب بخطّه المتأنّي القائم الزوايا:

يقولُ العَبْدُ الفقيرُ إلى رَحْمة ربّه،الغنّي بلُطفه/ عبدُ الرّحمن بن محمّد بن خَلْدون الحَضْرَميّ، وفّقه الله/



ثمّ تَرَك للنّاسخ كتابةَ نَصّ الكتاب . وهـذه الحـالة نفسها في تَسْجيل مُسْتهلّ هذه النّسخة بخَطّه، أعادَها في نُسْخَة (ج) التي كتبَها ابنُ الفَخّار سنةَ 799هـ (1397م)، ويَرِد وَصْفُها والحَديثُ عنها في مَوْقعها. ويتّضح من مقارنـة الصّفحة الأولى لهذه النسخة بمماثِلَتها من نسخة (ج)، ما يدعو إلى التأكيد أن هـذه النسخة كتبها ابن الفخّار أيضاً في بداية أيام ابن خَلْدون في مصر، ولم تكـن يَدُه قـد ثبتت وقَوِيَت بالصّورة التي نَجدها في خطّه لنسخة (ج) وغيرها.

وقد كتبت بخطّ نَسْخٍ معتاد، غَيْر موحّد، يَنفرج أحياناً ويَنقبضُ أخرى، وبأَقْلام غير مُتَقارِبة القَطّ، تدقّ مَرّات، وتَغْلظ أحياناً. هذا ولعلَّ أَصْل النّصّ متخلّياً عن الإضافاتِ والحَواشي والتّعديلات وعن البَطائق المُضافَة، هو النّصّ الذي قدِم به من تونس، أو الأَقْرب إلى الأَصْل التّونسيّ[1]، وحَوّله النّاسِخ (ابن الفخّار) في مصر إلى هـذه النسخة الّتي الْتَزم بها أبو زَيْد واتّخذَها مجالاً مُباشراً ومُسْتمراً للتّطوير إلى آخِر حَياته[2]، وعنها نُسِخت النُّسَخُ المباشرة الأُخْرى، واسْتَوْدَعت ما عليها من أَلْحاق وإضافة بكلّ أمانةٍ والتزام.

(1) كتب النّاسخ اسمَ الكتاب في مَدْخل المقدّمة: في أيام العرب والبَرْبر. وأضافَ المؤلّف بخطّه في الحاشية، لفظ: والعجم. وهو موضوع الجزء الخامس الّذي أضافه بعد الرّحلة إلى الشرق .

(2) ترد مناقشة صلة هذه النسخة بابن خلدون ، وتحقيق خطّه فيما يلي .

وقد عَلّم بالأحْمر الأرجوانيّ فواصلَ الفِقَر المُسَجّعة في مُقدّمة المقدّمة، وكلماتِ الانْتقال مثل : أمّا بَعْد ، وهذا ، ولمّا ، ومنها ؛ وكذلك تقْسيمات الكِتاب، وعناوينَ الفُصول والكلمات التي يبدأ بها إفادةً جديدةً، واكْتفى في حالاتٍ عِدّة بوضع خَطٍّ أحْمر حيث يَنْبغي التّنْبيه ، أو فوق الكلمات المهمّة ، لتَيْسير الرُّجوع إليها.

ولا تخلو صفحات هذه النسخة بدرجات متفاوتة في الكثافة، من تَعْديل كَلمات، وإقْحام تَكْملة، وتَعْويض مُلْغىً، وإضافَة جُمْلة، واسْتكمال بَيان، وإلحاق صَفحة أو بطاقة تشتمل على تكملة فَصْل أو إنشاء فُصول كامِلة، وكلُّها بخطّ صاحِب الكتاب، عدا تَدَخّلات مَحْدودة بتسجيل شُروح لُغَوية كُتبت بخطّ فارسيّ متأخّر من مالكي النُّسخة. ولعلّ أكثرهم تعليقاً عليها هو عاطف مصطفى الدّفْتريّ، كما يتّضح من المقارنة مع خَطّه على صَدْر الجُزْء.

ويُلاحظ أنّ الإضافاتِ على هذه النسخة على مُسْتويين:

- إضافات مطوّلة اسْتغرقت الصّفحة والصَّفْحتين - وكتبها المؤلّف بخطّ دقيقٍ في أسْطر مُتقاربة، وكتب بعضَها مائلةً تبدأ من إحْدى زوايا الصَّفح، وتتّجه من أسْفل إلى أعلى - كان يُعدّها في مُسْوّدة تَسْتكمل مادَّتها وتفاصيلَها ، ثم ينقلها مُواجِهَةً لعلامَة المُخْرَج التي يَضعُها في مَوْقعها من النصّ، موجّهَةً إلى اليَمين أو إلى اليسار ⌐ ¬ ، أو يُخرجها بخَطّ أحْمر يَنْتهي بسَهْم يربط بين المكان والإضافة، ويُسَجّل بأعْلى الصّفحة المضافَة نصَّ تأكيدٍ لمَوْقِعها، بأن يَقول: "يَتَّصلُ بآخر الصَّفح الأيْسر قبل التّرجمة الّتي نصُّها ... "، أو: "يتّصل في الصّفح المُقابل بعد قوله..."،

أو: "يتّصِل التّخريج في الصّفح الأيمن في السّطر الخامِس عَشر بعد قوله...". وقد أعدّ هذه المُخرجات المطوّلة في الجُزء الأول من المقدّمة وكتبها بعنايةٍ فائِقة، تدلّ على ثَبات اليَد وتمكُّنِها واسترسالِها بدون تَعَثّر ولا إلْغاء لخطأ يَطْرأ. وتدلّ أيضاً أنّه بدأ يُفكّر في مادّة هذا الجزء [المقدّمة] ويطوّره بانتظامٍ يتّفقُ مع تجدّد تَجربته واتّساع مدَى رُؤيته وما يتكشّف له أثناء تدريسها.

وقد افتقَدَت هذه النسخة عَدَداً من هذه الإضافاتِ المُطوّلة وسقَطت منها، بَعضُها لم يصِلْ إلينا ودَلّت عليها علامة الإخْراج المُقْحمة في مكان الإضافة، وبعضُها نَقلَتْه - قبل ضَياعها - الأُصولُ الأَرْبعة الأُخْرَى المعاصِرة لها أو بَعْضُها، كما هو الشّأن في "فصل أنّ آثار الدَّولة كلّها على نِسْبة قُوّتها في أَصْلها" وهي الوثيقة المنقولة عن الكتاب المسمّى "جراب الدّولة" لأبي طالب الحَسن بن عمّار الكُتاميّ، والمتعلّقة بما كان يُحمل إلى بيت المال ببَغْداد أيّام المأمون، فقد نَقلَتْها عنها بعضُ الأصُول كما أشرنا في موضعه.

ومن هذه الإضافات الضّائعة، الفَصْل الّذي جاء في نشرة الدكتور عبد الواحد وافي [المقدمة: 2: 760] وعنوانه : "فصل في اتّساع نطاق الدّولة أولاً إلى نهايته ، ثم تضايُقه طوراً بعد طَور ، إلى فَناء الدَّوْلَة واضمحلالها" . وأورده كاترمير Quatremère في نَشْرة باريس [2: 114] وموقِعُه في نسخة عاطف مصطفى آخر فصل "كيفيّة طُروق الخَلل للدّول"، فقد وضع علامة المُخْرج ملتفتة إلى اليمين، وجَعلها تَجْثُم على ثلاث دَوائر صغيرة، ولا يُوجَد عنوان هذا الفَصْل الضّائع في الفِهْرس الّذي تَحدّثنا عَنه، وأنّه في صَدْر الجُزْء، والّذي يُمثل موادّ المقدّمة عندما

نُسخت وقبل أن يضاف إليها أيُّ إلْحَاق. هذا ولم يرد هذا الفَصْل الضّائع في أيّ نُسْخة من النّسخ الأَرْبع المُعْتمدة الّتي عليها خَطّ المؤلّف. فما مَغنى ذلك؟ يبدو لي أنّ هذه الزّيادة أَلْحقها المؤلّف بنُسْخَته بعد انقضاء القَرْن الثّامِن الهجريّ، لذلك لم ترد في الأُصول الّتي اعتمدناها لوثاقتها، وأحدثها تاريخاً نَسْخة (ج) المُؤرخة في سنة 799هـ (1397م). وقد نَقلَتْها بعد هذا التّاريخ نُسَخٌ أخرى، منها نسخة أَحْمد تيْمور باشا. [355 تاريخ، دار الكتب المصرية] .

وحَسْب ما اعْتمدناه في إخْراج هذا العَمل، فإنّنا لم نُدْرج في صُلْب النصّ ما لم يَرِدْ في الأُصول الّتي اتّخذناها أساساً للتّحقّق والنّشر، والتي توفّرت فيها المعايير المقدَّرة. وإنّما نُثْبتها آخرَ الكتاب ضِمْن مُلْحق مُفْردٍ لذلك، مع توثيقها وتأكيد نسبتها جهد الطّاقة.

❁ وثمّة إضافات متوسّطة في حجمها وَمحتواها، ومُتفاوتَةٌ في الامْتداد على كامِل حواشي الصّفحة أو على جزءٍ منها، ولم يكنْ خَطّها موحّداً من حيث ثَباتُه ووُضوحُه، فإنّ من بَيْنها ما هو على درجة قصوى من التّداخل والغُموض على غير ما اتّسم به خطّ ابن خَلْدون في أكثر ما كَتَب، وقد احتاجت إلى تدقيق وتأمّل طويل وتأوّل أحياناً، وذلك لطابع العَجلة البيّن الّذي كُتِبت به، وبَعْضها لم يُخْرجه التّصوير مقروءاً، فاضْطررنا إلى العُكوف على الأَصْل النّفيس في مَكْتبة عاطف مصطفى في أكثر من زيارة، لاسْتِخْراج ما وُفّقنا إلى استخراجه منها بالقراءة المباشرة.

وكان عملُ المؤلّف يتداخَل أحياناً مع عَمل النّاسخ، فيكتُب بخطّه في مَتْن الكتاب ما لا يَثِقُ في أدائه من الكاتِب، ففي فَصْل "حَدثان الدُّول والأُمَم، والكلام على الملاجِم" تولّى كتابة الشّعْر العاميّ، وأضاف في آخر الفَصْل نفسِه إفاداتٍ على صفحات المساحة المكتوبة من الكتاب ذاته، وهذه سِمَةٌ بارزةٌ عند ابن خَلْدون الّذي حرص في أغْلب أَجْزاء التّاريخ أن يَصْنع بنفْسه شَجرات النَّسب، ويرمزُ بتَرْتيب الحُروف ودلالتها العدديّة إلى الذين تداولوا الحُكْم منها.

هذا وَينفرد هذا الجُزْء الأوَّل من العِبر (المقدّمة)، على عَكْس النُّسخ الأخرى التي نقلَت عنه، باشْتماله على خَريطةٍ لصوْرةِ الأَرْض، أَشْبَه بما قدّمه الإدْريسيّ لخريطة العالم؛ ومُشاكِلةً لها في رُموزها وتقْسيماتها إلى أقاليم سَبْعة، مع ذكر المُسَمّيات من البُلْدان والشّعوب؛ وهي خريطة دائريّة كُرِيّة، استعمل في رَسْمها التّلوينَ المتعدّد، من الأَصْفر والأَزْرق والأَخْضر والبَنفْسجيّ. ورُسمت البِحارُ باللّوْن الأَزْرق الدّاكن، تُغطّي سطحَها خطوطٌ منكسرة بيْضاء. وتَدُلّ الاتّجاهات إلى الجنوب من أعلى والشّمال من أسْفل، والغَرْب إلى اليمين والشّرق إلى اليسار.

وكَتَب ابنُ خلدون بخطّه المائِل المألوف لَدَيْنا وبحِبْرٍ أَحْمر، كلّ الأَسْماء الدّاخِليّة لهذه الخريطة النّادرة.

فقد أَثْبت في أعْلاها ما ذكَره في مَوْضوع الجغرافيا، قولَه: "خالٍ وراء خطّ الاسْتِواء لشدّة الحرّ"، ومن جِهة الشّمال من تَحْت، ما يُفيد الخلاءَ من شِدّة البرد. وقَسّم ما تحت خطّ الاسْتواء إلى خُطوط عَرْضيّة قوسِيّة دَقيقة، يَحْصر كلُّ خطّيْن منها إقليماً من الأقاليم السّبعة، وَزّع في كلّ إقليم بعضَ ما اشْتمل عليه من البِلاد

والشّعوب، وقد قرأنا مُحْتواها الدّاخلي وأثبتناه في ظَهْر الخَريطة. وهي -كما أشرتُ- نسخةٌ مطابقة لخريطة الإدْريسيّ، لا تُضيف جَديداً[1]. وإنّما ترجع أهميّتها وأهمية فَصل[2] الجَغرافيا الّذي يَليها، إلى تصوُّر ابن خَلْدون في أنّ العُمْران أساسُه الأَرْض والإنسان، وما يَنْشأ بهما على الزّمان المتمدّد، من رَوابط ونُظم ودُول ومَعارف وصنائع.

وتَنْتهي هذه النّسخة أَثناء الفَصْل 59 الخاصّ "بأشْعار العَرب وأَهْل الأَمْصار لهذا العهد"، عند قوله في بِدايته: "ويَأْتون منها بالمطوّلات مُشْتَملة على مذاهب الشّعر وأَغْراضه".

وأضيف في آخر الصفحة سِطْرٌ بخطّ ناسخ مُحْدث، كلمة: "والله وليّ التّوفيق، آخر الكتاب" وأرْدفه بسِطْر آخر مَشْطوب، فيه: "تمّت مقدمت (كذا) تاريخ ابن خَلْدون، يليه الجلْد الأوّل من التّاريخ المذكور المسمّى بالعبر". وبعده في الزّاوية اليمنى للصّفحة تعليقٌ بخطّ فارسيّ هو خَطّ عاطف مصطفى: "السّطرُ المَشْطوب مُدَلّس من دسائِس الصحّافين". وخطُّ هذا المدلِّس مألوفٌ لدينا لوجوده على أكثر الأجزاء المتناثرة والأصيلة من العِبَر، ممّا تيسّر لي رؤيتها في مكتبات متفرّقة، وكأنّي به كان له إشرافٌ مَا بالمِلْك أو الاسْتعارة لما في تَرِكة ابنِ خَلْدون من أصولٍ كانت بيْن يديه.

[1] (انظر خريطة الإدْريسي عند الدكتور فؤاد سزكين: مختارات من الجغرافيا الرياضيّة والكرتوغرافيا عند العرب والمسلمين، معهد تاريخ العلوم - فرنكفورت 2000م)

[2] نظَر كراتشكوفسكي إلى هذا الفصل نظرةً جغرافيّة بحْتة، وأثبت انعدام أصالته (تاريخ الأدب الجغرافي العربي 1: 439)

وفي الصّفح التالي نَصٌّ مختلط كُتب بخطٍّ مُغاير عن أشعار العرب، ويتوقّف عند البيت الثّالث من قصيدة الشّريف ابن هاشِم العاميّة، ثم يُختم الكتاب بالنّص الذي التزم به المؤلّف منذ النسخة الأولى " آخر الجزء الثاني من العِبَر: المقدّمة". وهو إثبات تاريخ الكتاب بالوَضع والتّأليف، ثم التّنقيح والتهذيب، في خمسة أشْهر آخرها منتصف عام 779هـ / 1377م.

وهكذا يتأكّد نَقْص كرّاسة ثانية من هذه النسخة بعد خطّ عاطف مُصْطفى، ومعناه أنّ النّقص كان موجوداً عند انْجرار الملكيّة إليه سنة 1154هـ /1741م، وكان ضياعها في المدّة الواقِعة بين خُروجها من مِلكية ويسي أَفَنْدي ودُخولها في ملكيّته، ممّا دعاه إلى التّنبيه على التزييف الواضِح والمُغالطة بانتهاء الكتاب. وقد أدرك عاطِف مصطفى أهميّة هذه النّسخة الّتي تملّكها وأصبحت مصدر اعْتزازه، ولكن ربّما كانت مُنْغلقة عليه بما ظهر على جوانبها من إضافاتٍ وبيانات وشُروحٍ تَدْخل في سِياق النّص وتزيده وضوحاً، وتراجِع صياغة بعض المعاني وتضيف إليها دقّة في الدّلالة لم تكن لها في السّياق الأول.

فعهد إلى أحد نسّاخي عصره وهو حسن بن أحمد الذي عانَى استخراج نسخةٍ تامّة مُتساوقة، حيث دَمَج كلّ محتوى النّسخة في سياقٍ واحدٍ كما أرادها المؤلف، وأتمّ نقلها في شهر جمادى الآخرة سنة 1140هـ (مايو 1728م) وتولّى عباس ابن مصطفى بتكليف من عاطف مصطفى مقابلة النّسخة بعد عَقْدٍ من اسْتنساخها، وأنْهى ذلك آخر ربيع الأول سنة 1155هـ/ 1742م .

وآلَ هذا المخطوط المنتسخ عن أصل عاطف مصطفى بعد ذلك إلى ملكية أحمد تيمور باشا في مصر، وأصبح منتسِباً إليه. ولكن لم يردْ في نُسخة التّيمورية هذه ما يُشير إلى ذلك الانقطاع في الأصل، بل واصَل كاتِبُها النّسْخَ على نسخة أخرى من غَيْر أن يهتمّ بتَوْثيق النّقل الذي استمدّه من مَصْدر آخر [التّيموريّة من الورقة 312 إلى 322].

وبذلك لم تكن نسخة التّيموريّة شاهداً أميناً على نُسخة عاطف مُصطفى الدّفتريّ في نقل كلّ تفاصيلها وتوثيق زياداتها، والتنبيه على ورود الزّيادات المهمّة ومن أين أُخِذت، بل كانت نسخة استندت في الأصل إلى نُسْخة عاطِف، ثم اعتمدَتْ إكمال النصّ من حيثما اتّفق، بدون إدراكٍ لدرجات الوَثاقة والسّند المتّصل بصاحبها مؤلّفها.

فقد أشرنا أثناء وصف هذه النّسخة إلى الكرّاسة الضائعة من موضوع "الحروب ومذاهب الأُمَم في ترتيبها"، إلى "فَصْل انقسام الدولة الواحدة بدَوْلتين". وكيف نَبّه مالكُ النّسخة ويسي أفندي عند شِرائها على ذلك الخَرْم، ودعَى الله أن يعيدها بعَيْنها، وربّما قام هذا المالك بعد تعقّب الكتاب، بانْتساخ هذه الكراسة الضّائِعة من مصدر آخر، أو انتُسِخَت بعده، ولكن نُسْخة التّيموريّة تتمادى مواصِلَةً نقل نصّ الكتاب، من غير إشعار بتبدّل مُستوى النُّسْخة أو تنصيص في الحاشية على تغيّر الأصل.

وبالإضافة لما يتخلّلها من تصحيف وتحريف، فإنَّ هذه المآخذ تحدّد مستواها في اعْتبار مَنازل نُسَخ الكتاب؛ وهي على الإجمال نسخة تأليفيّة جمّعت مادّتها من نسخٍ شتّى لم تذكرها .

ولقد ضاعت الكرّاسة الأخيرة من مخطوط عاطف، وكانت صفحاتُها ولا شك تحتفظ بإفادات مهمّة، عن اسم الناسخ في آخرها، وعن التّواريخ التي سُجلت عليها بعد سنة 804هـ/ 1402م المستفاد من أول المقدمة. وربّما عن أسماء الذين نقلوا عن هذا الأصل، كما هو الشأن في تقاليد النّقل عن نسخة المؤلف.

وربّما كانت مجموعة الأشعار البدويّة العاميّة قد ضُبطت بالحركات، فتُيَسّر النّطق بها، وفَهْم مفرداتها، كما رأينا فِعْله في الأبيات التي كتبها بخطّه في "فصل حدثان الدّول والأُمَم والكلام على الملاحِم والكَشْف عن مُسمّى الجَفْر". وبذلك فإنّ الافْتراض بأنَّ ابنَ خَلْدون قد أنهى علاقته بهذه النسخة سنة 804هـ / 1402م هو افتراضٌ قَسْريّ خاطِئٌ لا يقوم على حُجَّة؛ بدأ هذا الافتراضُ من شُبْهة في فكر عاطف مصطفى، وأُسيء فَهْم تقريظ الاشفيجابيّ الّذي اعتَبره فرانز روزنتال أول من مَلَك هذه النسخة.

وقد عوملت نسخةُ عاطف أفندي عند بعض الباحِثين بشيءٍ من التّردد في شأنها، هل هي على مُستوى الشّهادة التي تَتصدّرها بخطّ المؤلف، بأنّها أصحّ النّسخ وأجدرها بالثقة، وبالتّساؤل عمّا ألجأ إلى هذا الاعْتبار ما دامت حواشيها حافلة باستكمال النّقص الّذي ظهر فيها؛ والتّساؤل عمّا إذا كان تَوْقيع المؤلّف عليها صحيح أم مزيّف ، بل دعت إلى مَجموعة من الافْتراضات التي لا تقوم على برهنة صحيحة.

فعندما تناول فرانز روزنتال بَحْث هذه النّسخة ضمن تقديمه للمخطوطات الّتي اعتمدها لنشرته للمقدّمة[1]. لاحظَ ما بدا له من "أن أكثرَ التفسيرات احتمالاً، والّتي تظلّ مع ذلك قائمة على التّخمين، هو أن هذا المخطوط نُسِخ سنة 804هـ (1401- 1402م) عن أصل قديم، يُفْترض أن يكون نُسْخة ابن خَلْدون الخاصّة، وقد نُقلت الإضافات والتّصحيحات الموجودَة على هذه النّسخة بنصّها دون زيادة أو نُقْصان، على يد النّاسخ نفسه، وكان ابنُ خَلْدون قد حدّد في نسخته بأنّ سنة 804هـ هي التاريخ الذي توقف فيه عن العمل في المقدمة (مؤقتاً على الأقلّ) (!!) وفيما بَعْد وفي العام ذاته، قام الأسفيجابيّ - وهو على الأرجح المالِكُ الأوّل لهذه النسخة- بوضع ملاحظته المعبّرة عن إعجابه بالكتاب بعد قراءته"[2].

ويمضي الدكتور عبد الرحمن بَدوي[3] بعيداً في هذه الاتّجاه، عندما خَتَم عَرْضه لهذه النسخة "بأن أمرها يُثير العَجب ، لكثرة ما فيها من نقْصٍ واستدراكٍ بقَلم آخر ، فما الذي يَحْمل ابن خَلْدون على اعتماد هذه النُّسْخة [يشير إلى شهادته الّتي تتصدّرها] وفيها كل هذا النّقص، ثم استدراكه في أوراق مستقلّة أو في الهامش، خصوصاً ، وأنّ هذا النّقص يشمل أحياناً ما ورد في نُسْخة تونس الأَصْلية"[4].

(1) Rosenthal, F. Ibn Khaldun, The Muqaddimah, an introduction to history. Translated from the Arabic, New York, 1958.

(2) ذكر هذا في الفصل الذي تحدث فيه عن التاريخ النصيّ للمقدمة 1 المخطوطات ص 47. The Textual History of The Muqaddimah 1 Manuscripts, p. XCVII.

(3) عبد الرحمن بدوي : مؤلفات ابن خلدون 108 .

(4) لا نعرف حدود نسخة تونس الأصلية، وكيف وصل أستاذنا بدوي لهذا الاستنتاج الذي يفترض أن يقوم على المقابلة بنصّ موجود وثابت النسبة.

وعندي أنّ سبب هذا الإشكال والشكّ المُثار، هو وجود حلَقة مفقودة في سيرة هذه النّسخة وبَحْثها، تتمثّل في المَعرفة بخطّ ابن خَلْدون؛ الذي ينبغي أن يكون من أوليّات ما يجبُ معرفتُه للمُتعامل مع تُراث الرّجل.

إن الاستقصاء الواسع لمخلّفات أبي زَيْد الّتي تحمل ما يُشير إلى مُعاصرَتها له، بل وإلى الصّلة به، توقِفُنا على نموذجَيْن مُتمايِزَيْن من خطّه، ومُتّحِدَيْن في أُصولها.

النّموذج الأوّل، يتمثل في الأَمْثلة المحدودة العَدد، ويحمل بعضُها توقيعَه صريحاً بكامل اسمه، من ذلك :

توقيعه على الوَقْفيّة التي تتصدّر أجزاء نسخة العِبَر، الموقَفَة على طلبة العلم بمدينة فاس، ومقرّها مكتبة جامع القرويين، وقد نشر النّموذج الّذي على الجزء الخامس منها ليفي بروفنسال[1] سنة 1923؛ ثم الإجازة التي حرّرها ووَقّعها بخطّه لابن حَجَر ورفاقه، في شَعْبان سنة سَبْع وتسْعين وسَبْعمائة (يونيو 1395م)، ونشرها هلموت ريتر[2] سنة 1953.

وكان خطّه فيها على القاعدة الأندلسيّة، ذات الحروف المحقّقة المُبينَة والزّوايا القائمة، صَلْباً كثير التّقوير لما تَحْت السّطور، يَعْتمد النَّقْط على الطّريقة

(1) E. Lévi-Provençal. "Note sur L'exemplaire du Kitab al-'Ibar offert par Ibn Khaldun à La Bibliothèque d'al Qarawiyin à Fes *Journal Asiatique*, CCIII 161-168. (Paris, 1923).
وتفضل عليّ بنسخة عنها صديقي الدكتور أحمد شوقي بنبين، مدير المكتبة الحسنيّة بالرباط.

(2) Hellmut Ritter, Autographs in Turkish Libraries, in Oriens, VI 83 and pl XII, (1953).

الإفريقيّة القديمة، متأثّراً بالنّمط الذي اعتاد عليه في كتابة "العَلامة"، وظلّ مرتبطاً بالنّموذج الّذي كتبه وهو ابنُ تسْعة عشر عاماً سنة اثنتيْن وخمسين وسَبْعمائة (1351م)، وهو كتاب لُباب المحصّل[1] في أصول الدّين، لابن خطيب الرّيّ فخر الدّين الرّازيّ.

ثمّ الشّهادة الموقّعة على نُسْخة عاطِف مصطفى واسْتهلاله لها بخطّه، واسْتهلاله لنُسخة ينّي جامع (ج)، وهما الاثنتان بخطّ ابن الفخّار، وعندما استفتح بكتابة اسْمه في صَدْر النُّسخة إيذاناً بابتداء النّص، عَمَد في كتابة القاف والفاء إلى طريقة أهل المَغرب بنَقْط القاف بواحدة فوقيّة والفاء بواحدة تحتيّة، وهي الطريقة التي دَخلت بها الكتابةُ إلى إفريقيّة والأندلس، واستمرّت عليها إلى وقت قريب. على حين جاءت كلّ تعليقاته واستدراكاته المُدرجة في الحواشي وفي البطائق على عَكْس ذلك، فقد أجْرى كتابته فيها على طريقة المَشارقة بالنّقط من فوق، بواحدة وباثنتين.

والنّموذج الثاني، نتلمّسه فيما كتبه بمصر - وقد كان كثيراً - فقد اضطرّ بحُكْم وظيفة القضاء ومُتطلّباتها، والاستجابة لداعي الإسْراع في الكتابة، خاصّة بعد إنْجازه العِبَر بأجزائه المتعددة، وضَرورة النّظر في النُّسخ الّتي تصدر عنه ومراجعتها حتى لا يتفشّى الغلَطُ عنه، اضطُرّ إلى أن يأخذ أولاً بالرّسم المشرقيّ للحُروف ونَقْطها حتى لا يُرْبك قارئَه، ثم نَراه عَمَد إلى الكتابة باسْتلقاء خَفيف، مع الارْتباط

[1] نشرة الاب لوسيانو روبيو Fr. Luciano Rubio - مطبوعات معهد مولاي الحسن، النص العربي - تطوان - دار الطباعة المغربية، 1952م، ونشر في دار المشرق - بيروت ، 1995م .

بما الْتصق به من تَقاليد الخطّ، وبما أخذت به يده من عادة لا تتعدّاها في الانْقباض والتّوتّر، وهذا الاسْترخاء المُنافي للأناقة والواضِح في إسْراعه أحياناً، جَعل كتابتَه تبدو في تلاحُقها متداخلةً ولكن لا تبْعد به عن تشكيل الحرف الذي يُصْطلح عليه بالأندَلسيّ الّذي درج عليه.

ثم أَصْبح مع الزّمن هذا الخط المائل المُسْتلقي أكثرَ أناقةً ورشاقةً وتَناسباً في تَركيبه وسُطوره، خاصّة إذا كَتب به الصّفحة الكامِلَة والأكْثر، وكان ينقل من مُسْوّدة أعدّها وأبْقى على ما به الحاجة، بحيث لا يَظْهر في المبيضة شَطْب ولا إلْغاء.

وهذه الخُطوط الّتي احتفظَت بها نُسْخة عاطِف، والأجزاء المُخْتلفة الّتي وَقَفْنا على حَضْرها من التّاريخ، مما هو معروفٌ وممّا وُفّقْنا إلى الكَشْف عنه للمرّة الأولى، والمعبّرة عن التدخُّل في النصّ بالإضافة والتّنقيح والتّهذيب والإلْغاء، تُفْصِحُ عن أنّ هذا العملَ لا يَجْرأ عليه غيرُ صاحب النصّ الأَصْلي الّذي لا ينْقطع عن المراجعة لما أعَدّه النسّاخون من نُسَخ الكتاب.

إنّ مَوْقف فرانز روزنْتال وعبد الرّحمن بَدوي وغيرُهما جاء من أنّهم لم يتعرّفوا على هذا الخطّ الخَلْدوني الّذي يُوَشّح كلَّ أعماله الباقِية، لذلك كانت اسْتِنْتاجاتهم غَريبة، ولم تَقم على تَحْليل ومُقارنة واسِعة لنماذج خطّه على مُخْتلف المخطوطات، ولم يَتساءلوا عن طَبيعة التّدخّل أمام كل حالةٍ تُشير بإفْصاح أنّه تدخُّل صاحب النصّ وبخطّه الذي لا يتَغيَّر على كلّ الأجزاء المُتباعِدة في المكان والزمان.

إنّ الكشف عن حَقيقة خطّ ابن خَلْدون غير الموقّع والمتكرّر على حَواشي كُتبه ليس جَديداً ، فقد حَلَّل Rieu[1] الجزْء المهمَّ من العِبر الّذي تحتفظ به مكتبة المتحف البريطاني رقم 272، Add 23 وتتبّع حواشـيَه الكثيرَة بدقّة وتَفْصيل، وتُمثّل النّموذج الثّاني للخَطّ الّذي سُجّلت به حَواشي نُسخة عاطف مُصطفى للأوّل من العِبر (المقدمة) وكان المفهرسُ على يقينٍ من أنّها من عَمل المؤلّف نَفْسه. لتدخّلها المُباشر في سِياق النصّ تدخُّلَ الواثقِ من شرعيّة فعله.

وأكّد أستاذُنا عبد الرحمن بَدوي[2] هذه الحقيقة في تَقْديمه لمخطوط المتحف البريطاني، دون أن يطّلع على صُورةِ النّسخة ، ولعلّه لو باشَرَ رُؤْيتها وقارنَها بما شكّك فيه سابقاً ، لما وَقَع فيما وقع فيه.

وكان الأستاذ الطّنجي من الأوائل بعد Rieu الذي تعرَّف على خطّ ابن خَلْدون المُسجّل على حَواشي كُتبه الّتي اطّلع عليها في تركيا، وخاصّة نسخة عاطف مصطفى، ولم يكن قد اطّلع على جُزْء التّاريخ المحفوظ بالمتحف البريطاني وغيره، لأنّه لم يكن وقْتها يعنيه مباشرةً. وقد بَقي من آثاره نَصُّ رسالةٍ كتبها إلى صهره الأستاذ عبد الله كنّون، رحمهما الله، تاريخها 1947/9/8م يذكر فيها أن من بَيْن ما اعتمده لإعْداد النّصّ الخَلْدونيّ للمُقدّمة "نسخة المؤلّف الّتي كان يملكها، والّتي كانت تتعرّض

(1) Catalogus Codicum Manuscriptorum orientalium qui in Museo Britannico , p. 565-565, (London 1846)

(2) مؤلفات ابن خلدون 129 .

لكلّ ما يَطْرأ على فِكْره من جَديد، بهامِشها - بخطّه - إضافاتٌ وتعديلات في مُنْتهى الخطورة[1]".

إن خطّ المؤلّف يُوَشّح هذه النُّسخة في أكْثر صَفحاتها. فلا حاجةَ إلى حَصْره في قائمة، ولكنّ النّماذج التي أرْفقناها تُشير إلى الكَثير ممّا أردنا التّعبير عنه، وهو ما يَسْمح بالمُقارنة مع ما نُثْبته من شَواهد هذا الخطّ المسجّلة على النّسخ التّالية.

ومن خِلال هذه الشّواهِد العديدة المتكرّرة المثبتة على الأَجْزاء المتفرّقة والمُتباعدة من المُقدّمة والتّاريخ، نَقفُ على تدخّل كاتبٍ واثقٍ من نَفْسه في سياق النّصّ، يتكرّر عملُه بالطّريقة نفسها وبالخط نَفْسه ، ومَهْما اختلفَ حالُه وسِنّه أثناء التّسجيل والكتابة ، فإن ذلك لا يُفْقده الارْتباط الدّائم بما اعتادت يَدُه أن تسجّل به الحروفَ . مما يؤكّد صلةَ النّسب والقَرابة الوثيقة بين صَاحب هذه الخُطوط والكِتاب، ولا يكون غير مُؤَلّفه .

[1] محمد كنون الحسني : العلامة ابن تاويت الطّنجي ، جوانب من حياته ونماذج من رسائله (الكتاب التذكاري عن محمد ابن تاويت الطنجي - منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة - طنجة 1997)

الملحق(1)

(*) فهرست ما تضمّنه سفرُ هذه المقدّمة من الأبْواب والفصول

الخطبة وفيها تقسيم الكتاب إلى مُقدّمة، وثلاثة كُتب:

المقـــدّمـــة : في فَضْل علم التّاريخ

والكتاب الأول: في العُمْران وما يَعرِض فيه من المُلْك والمعاش والصّنائع والعُلوم، وهذا الكتابُ الأوّلُ ذَهَب باسْم المقدّمة حتّى صارَ علماً عليها، وهو الّذي تضمّنهُ هذا السِّفْر.

والكتاب الثّاني: في أخْبار العَرب منذ مَبْدإ الخليقة ولهذا العَهْد في أربع طَبقات: العارِبة، والمُسْتعْربة، والتّابعة للعَرب، والمُسْتعْجمة المتأخّرة، ودُول المعاصرين[1] لهم في كلّ طبقة، من: النَّبط والسّريانِيّين والفُرْس وبَني إسرائيل والقِبْط ويونان والرُّوم، ثمّ في الدّولة الإسلاميّة: دول الكُرْد والتّرك والتُّركُمان والفِرَنْج.

والكتابُ الثّالث: في أخْبار البَرْبر وزَناتة بديار المَغْرب.

❁ ❁ ❁

المقدّمة: في فَضْل التّاريخ وشَيْء من أغْلاط المؤرّخين.

(*) هذا ما صُدِّرت به مخطوطة (ع) وقابلناها على نسخ ظ ل ج ، ولم يرد في مخطوطة ي .

(1) ل: التابعين.

الكتابُ الأوّل: في طَبيعة العُمْران وما يَعْرِضِ فيها من البَدْو والحضر والتغلّب والمعاش والعُلوم والصّنائع، وعِلَل ذلك وأَسْبابه. وانْحصر الكلامُ في ذلك في ستّة فُصول:

- الأول: في العُمْران البَشريّ على الجُمْلة وأَصْنافه وقِسْطه من الأَرْض.
- الثّاني: في العُمْران البَدويّ[1]. والأُمم المتوحّشة.
- الثّالث: في الدّول والخِلافة والمُلْك ومَراتِبها.
- الرّابع: في العُمْران الحَضريّ والبُلْدان والأَمْصار.
- الخامِس: في الصّنائع والمعاش والكَسْب.
- السّادس: في العُلوم واكْتِسابها.

الفصل الأوّل في العُمْران البَشريّ على الجُمْلة، وفيه مقدّمات:

الأولى: في أنّ الاجْتماع للبشَر ضَروريٌّ.

الثّانية: في قِسْط العُمْران من الأَرْض، وفيها شَرْح الجغْرافيا.

الثّالثة: في المُعْتدل من الأقاليم والمُنْحَرف.... وتأْثير الهَواء في أَلْوان البَشر وأَحْوالهم.

الرّابعة: في تأْثير الهَواء في أَخْلاق البَشَر.

الخامِسةُ: في اخْتلاف أَحْوال العُمْران في الخِصْب والجوع، وتأْثيرِ ذلك في أَبْدان البَشر وأَخْلاقهم.

السّادسة: في أَصْناف المُدْركين للغَيْب من البشر، وفيه الكلامُ في: النُّبوّة وحَقيقتها، والكِهانةِ، والرُّؤيا، والكلامُ في العرّافين والنّاظرين في الأَجْسام الشفّافة وفي قُلوب الحيوان وعِظامها، وأَهْل الزَّجْرِ، وأَهْل الطّرق بالحَصى والحُبوبِ. وحال الإدْراك عند الْتباس اليَقَظة بالنّوم، وحال الكَشْف والرّياضَة السّحريّة وآثارها، ومدارك البَهاليل من المتصوّفة، ومَدارك المنجّمين

[1] كذا في ع، وفي ظ ل: الحضريّ.

وأصْحاب خَطّ الرّمْل [1]، وأَصْحاب حِساب النّيم، والكَلام في زايْرجَة العالم والكشف عن حقيقتها.

الفَصْل الثّاني في العُمْران البَدويّ، وفيه فُصول:

- في أنّ أَجْيال البَدْو والحَضَر طبيعيّة.
- في أنّ أهلَ البَدْو أَقْرب إلى الخَيْر من أَهْل الحضر.
- في أنّ مُعاناة أَهْل الحَضَر للأحْكام مُذْهِبة للبَأْس منهم.
- في أنّ سَكْنَى البَدْو إنما تكون[2] للقَبائِل أهل العَصبِيّة.
- في أنّ العَصبِيّة إنّما تكون من الالْتحام بنَسبٍ أو وَلاءٍ.
- في أنّ صريحَ النَّسب إنّما يوجدُ للمُتوحّشين في البَدْو من العَرَب والتُّرْك ومَنْ في معناهم.
- في كيف تَخْتلِط الأَنْسابُ.
- في أنّ الرِّئاسَة على أهل العَصبِيّة لا تكونُ في غَيْر نَسبهم.
- في أنّ البَيْت والشَّرَف بالأَصَالة لأَهْل العَصبِيّة، وبالمجاز والنِّسْبَة[3] لغَيْرهم.
- في أنّ البَيْت والشَّرَف للمَوالي وأَهْل الاصْطِناع[4] إنّما هو بمواليهم لا بآبائهم.
- في أنّ نهايةَ الحَسب في العَقِب الواحِد أربعةُ آباء.
- في أنّ الأُمَم الوَحْشيّة أقدرُ على التَّغلّب من سِواها.
- في أنّ الغايةَ الّتي تَجْري إليها العَصبِيّة هي المُلْكُ.
- في أنّ من عَوائِق المُلْك حُصول التُّرَف والنَّعيم للقَبِيلة.

(1) سقط ما بين النجمين من ل.
(2) ظ ل: يكون.
(3) ظ: الشّبه.
(4) ل: الغَصَبِيّة.

- في أنّ من عَوائِق المُلْك حُصول المَذلّة لهم، وانقِيادُهم لغَيْرهم، وفَرْض المَغارم عليهم.

- في أنّ من عَلامات المُلْك التّنافُس في الخِلال الحَميدة وبالعَكْس.

- في أنّ الأُمّة الوَحْشيّة يكون مُلكها واسِع.

- في أنّ المُلْك إذا ذهب من أُمّةٍ فقد يَعود في شَعْب آخر منها إن بَقِيَ، ويكونون أَوْلى به بذلك التّرتيب.

- في أنّ المَغلوبَ مولعٌ بالاقْتداءِ بالغالِب في شِعاره وزِيّه وسائِر نِحَلِه وعَوائِده.

- في أنّ الأُمّةَ إذا غُلِبت وصارتْ في مَلَكَة غَيْرها أسرع إليها الفَناء.

- في أنّ العَرَب لا يتغلّبون إلاّ على البَسائِط.

- في أنّ العَرَب إذا تغلّبوا على الأَوْطان أَسْرع إليها الخَرابُ.

- في أنّ العَرب لا يَحْصلُ لهم المُلْك إلاّ بصِبْغة دينية، من نُبُوّةٍ أو وِلايةٍ أو ما في مَعْنى الدّين.

- في أنّ العربَ أبعدُ الأُمَم عن سِياسة المُلْك.

- في أنّ البادِيَة من القَبائِل والعَصائِب مُغَلّبون لأَهْل الأَمْصار.

الفصل الثالث في الدُّوَل والخِلافَة والمُلْك، ومَراتِبها:

- في أنّ المُلْكَ والدُّولَ العامّة إنّما يحصُل بالعَصبيّة والشّوكة.

- في أنّ الدّوْلةَ إذا اسْتقرّت وتَمهّدت فقد تَسْتغني عن العَصَبِيّة.

- في أنّه قد يَحْدث لأهل النّصاب المَلَكِيّ دولةٌ بغير عَصبيّةٍ وتَسْتغني عنهم.

- في أنّ الدُّوَل العامّةَ البعيدة الاسْتيلاءِ، أصلُها الدّين ودَعْوة الحقّ.

- في أنّ الدّعوة الدّينية تزيدُ الدّوْلة قُوّةً على قُوّة العَصَبِيّة الّتي لها في الأَصْل.

- في أنّ الدّعْوة الدّينيّة من غَيْر عَصَبيّة لا تَتِمّ.

- في أنّ كلّ دَوْلةٍ لها حِصّة من المَمالك والأَوْطان لا تَزيدُ عليها.

- في أنّ عِظَم الدّوْلة على نِسْبة القائِمين بها في عَدَدهم.

- في أنّ الأوْطان الكثيرةِ القَبائِل لا تَسْتَحْكم فيها دَوْلَةٌ.
- في أنّ من طَبيعَة المُلْكِ الانفرادُ بالمَجْد.
- في أنّ من طَبيعَة المُلْك التَّرف.
- في أنّ من طبيعة المُلْك الدَّعَةُ والسّكون.
- في أنّه إذا اسْتحكمت طبيعةُ المُلْك من هذه أقبلت الدّوْلةُ على الهَرَم.
- في أنّ الدُّوَل لها أعمارٌ طبيعيّة كما للأشْخاص.
- في انتقال الدّوْلة من البَداوة إلى الحَضارَة.
- في أنّ التَّرَف يزيدُ الدَّوْلة قوّةً.
- في أطْوار الدّولة من البَداوة وما بَعْدها.
- في أنّ آثار الدَّوْلة على نِسْبة قُوَّتها في الأَصْل.
- في اسْتِظْهار صاحِب الدَّوْلة بالموالي و[1] المصطنعين على قَوْمه.
- في أَحْوال الموالي والمُصْطَنَعين في الدُّول.
- في ما يَعْرِض في الدُّوَل من حَجْر السُّلطان والاسْتبداد عليه.
- في أنّ المُتَغَلّبين على السُّلْطان لا يُشاركونَه في اللَّقب الخاصّ بالمُلْك.
- في حَقيقة المُلْك وأَصْنافِه.
- في أنّ إرهافَ الحدِّ مُضِرٌّ بالمُلْك مُفْسِدٌ له.
- في مَعْنى الخِلافة والإمامة.
- في اخْتِلاف الأُمّة في حُكْم هذا المَنْصِب وشُروطه.
- في مَذاهب الشّيعَة في الإمامة.
- في انْقِلاب الخِلافة إلى المُلْك.
- في مَعْنى البَيْعة.

[1] سقط حرف العطف من ل.

- في ولاية العَهْد، وفيها الكلامُ في شأن يزيد ووصِيّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعلي، وإيضاح[1] الحقّ في الحُروب الإسلاميّة، وتنزيه الصّحابة والتّابعين عمّا يُظَنّ بهم فيها.

- في الخُطَط الدينيّة الخِلافية، من الإمامَة والفُتْيا والقَضاء والعَدَالة والحِسْبة والسِكّة.

- في اللّقب بأمير المؤمنين.

- في شرح اسْم البَابًا والبَترك عند النّصارى، والكوهَن عند اليَهود.

- في مَراتب المُلْك والسُلْطان وألقابها، من الوِزارَة والحِجابَة والجِباية والكِتابة والشُرْطَة وقيادة الأساطيل.

- في التّفاوُت بين مَراتب السّيْف والقَلَم.

- في شارات المُلْك الخاصّة به من الآلَة والسّرير والسّكّة والخاتَم والطّراز والفَساطيط والسّياج والمَقصورة للصّلاة والدُّعاءِ في الخُطْبة.

- في الحُروب وتَرتيبها عند الأُمَم.

- في الجِباية وسَبَب وُفورها ونَقصها.

- في ضَرب المُكوس أواخِرَ الدُّوَل.

- في أنّ تِجارةَ السُلْطان مُضِرّةٌ بالرّعايا مُفسِدةٌ للجِباية.

- في أنّ ثَروةَ السُلْطان وحاشِيته إنّما تكونُ وَسَط الدّولة.

- في أنّ نَقْص العَطاء من السُلطان نَقْصٌ في الجِباية.

- في أنّ الظُّلْمَ مُؤذِنٌ بخَراب العُمْران.

- في الحِجاب كيف يقعُ في الدّول، وأنّه يَعْظُم عند الهَرَم.

- في انقِسام الدّوْلة بدَوْلتين.

- في أنّ الهَرَم إذا نَزَل بالدّوْلة لا يَرتفع.

[1] ل: إظهار.

- في كيفيّة طُروق الخَلَل للدُّوَل.
- في أنّ الدَّولة المُسْتَجِدّة إنّما تَستولي على الدَّولة المُستقرّة بالمُطاوَلة لا بالمُناجَزة.
- في وُفور العُمْران أواخرَ الدُّوَل وكَثْرة المَوتان والمَجاعات.
- في أنّ العُمْران البَشريّ لا بُدّ له من سِياسة يَنْتظم بها أمْرُه.
- في أمْر الفاطِميّ واخْتلاف النّاس في شَأنه.
- في حَدَثان الدُّوَل والمَلاحِم والجَفر.

الفصل الرّابع في العُمْران الحضريّ من البُلْدان والأمْصار والمُدُن:

- في أنّ الدُّوَلَ أقدمُ من الأمْصار.
- في أنّ المُلْك يَدْعو إلى[1] الأمْصار.
- في أنّ المُدُنَ العظيمةَ والهياكلَ إنّما يُشَيّدُ بها المُلْكُ الكبير.
- في أنّ الهياكلَ العَظيمةَ والمباني لا تَستقِلّ الدّولةُ الواحِدةُ بها.
- في ما يجبُ مُراعاته في أوْضاع المُدُن.
- في المساجِد والبُيوت المُعَظّمة في العالَم.
- في أنّ الأمصارَ والمُدُنَ بإفريقيّة والمَغرب قليلةٌ.
- في أنّ المَبانيَ والمصانِعَ في المِلّة قليلةٌ بالنّسبة إلى مَنْ قبْلَها.
- في أنّ المَبانيَ التي تختطُّها العربُ يُسْرِع إليها الخرابُ.
- في مَبادِيء الخَراب في الأمْصار.
- في أنّ تفاضُل الأَمْصار في الرَّفْه بتفاضُل العُمْران.
- في الغَلاء والرّخص في أَسْعار المُدُن.
- في قُصور أهْل البَدْو عن سُكْنى الأمْصار.

[1] كذا في النسخ، ويعني: إلى نزول الأمصار.

- في أنّ الأقطارَ تَختلف في الرَّفه كالأمْصار.

- في تأثُّل العَقار في الأمْصار ونُمُوّ قيمته.

- في حاجَة المُتموّلين من أهْل الأمصار إلى الجاه.

- في أنّ الحضارةَ في الأمْصار من قِبَل الدُّوَل، وأنّها تَرسَخُ باتّصالها.

- في أنّ الحضارةَ غايةٌ للعُمْران ونِهايةٌ لعُمْره ومُؤْذنةٌ بفساده.

- في أنّ الأمْصار الّتي هي كراسي المُلْك تَخرب بخراب الدَّوْلَة.

- في اختصاص بَعْض الأمْصار ببَعْض الصَّنائع.

- في وُجود العصبيّة لأهْل الأمْصار.

- في لُغاتِ أهْل الأمْصار.

الفصل الخامس في [الـ] مَعاشِ ووُجوهه من الكَسْب والصّنائع:

- في حقيقة الرّزق والكَسْب، وأنّ الكَسْب هو قيمة الأعمال البَشريّة.

- في وُجوه المَعاش وأصْنافه.

- في أنّ الخِدْمة للنّاس لَيْست من المَعاش الطبيعيّ.

- في أنّ ابْتغاءَ الأَموال من الدّفائن والكُنوز ليس بمعاشٍ طبيعيّ.

- في أنّ الجاه مفيدٌ للمال.

- في أنّ السّعادةَ والكَسْبَ لأهْل الخُضوع والمَلَق، وأنّهما من أسْباب السّعادَة.

- في أنّ القائمين بوَظائف الدّين لا ثَرْوَة لهم.

- في أنّ الفِلاحةَ من مَعاش المُسْتَضْعفين وأهل الخَيْر.

- في مَعْنى التّجارة ومَذاهبها وأصْنافها.

- في أيّ أصْناف النّاس يَنْتفع بالتّجارة، وأيّهم يَنْبغي له تَرْكُها.

- في أنّ خُلُق التّجار نازِلةٌ عن خُلُق الأشْراف.

- في نَقْل التّاجر للسّلع في الاحْتكار.

- في أنّ رخص الأسْعار مُضَرّ بالمُحترفين بالرّخيص.

- في أنّ الصّنائع لا بدّ لها من المُعلّم.

- في أنّ الصّنائع إنّما تكمل في العُمْران الحَضريّ.

- في أنّ رُسوخ الصّنائع في الأمْصار بِرُسوخ الحضارة وقِدَمِها.

- في أنّ الأمصارَ إذا قاربت الخرابَ انتُقِصت منها الصّنائع.

- في أنّ العربَ أبعدُ النّاس عن الصنائع.

- الفلاحة.

- البِناء.

- التّجارةُ.

- الحِياكة.

- الخِياطَة.

- التّوْليد.

- صِناعَة الطبّ، وأنّها ضروريّة في الأمْصار دون البَدْو.

- في أنّ الخَطّ والكتابَ من عِداد الصّنائع.

- صِناعَة الوِراقَة.

- صِناعَةُ الغِناء.

- في أنّ الصّنائعَ تُكْسِب صاحبَها عقلاً، وخُصوصاً الكتابة والحِساب.

الفصل السّادس في العلوم وأصنافها، والتّعْليم وطُرُقه:

- في أنّ العِلْم والتّعليمَ طبيعيّ للبشَر.

- في أنّ تَعْليم العِلْم من جُمْلة الصّنائع.

- في أنّ العُلومَ إنما تكثُر حيث يَكثُر العُمْران والحضارةُ.

- في أصْناف العُلوم الواقِعة في العُمران.

عُلوم القرآن: القراءات، الرَّسْم، التَّفْسير.

عُلوم الحَديث

الفِقْه وما يتْبعه من الفِرائض

أصولُ الفِقْه، وما يتعلّق به من الجَدَل والخِلافات

عِلْم الكَلام

عِلْم التَّصوّف

عِلْم التَّعْبير

العُلومُ العَقْلية

عُلوم العَدَد

صِناعَةُ الحِساب: الجَبْر، والمُقابَلة

المُعامَلات

الفَرائِض الحسابيّة

عُلوم الهَنْدسَة

أوقليدس

المَخْروطات

المِساحة

المَناظِر

عِلْم الهيئة، الأَزْياج

عِلْم المَنطق

الطّبيعيّات

الطِّبّ

عِلم الإلهيات

عُلوم السّحر والطّلسمات

عِلم أسرار الحُروف، والكلامُ على زايَرجَة العالَم للسَّبتيّ

عِلم الكيمياء

- في إبْطال صِناعَة النُّجوم وضَعْف مَدارِكها.

- في إنْكار ثَمرة الكيمياء واسْتِحالة وُجودها والمفاسد الناشئة عَنْها.

- في أنّ كَثْرة التَّواليف عائِقةٌ عن التَّحصيل في العُلوم.

- الاخْتصارات في العُلوم مُخِلّة بالتَّعْليم.

- في وَجْه تَعْليم العُلوم وإفادَته.

- في أنّ العُلومَ الآليّة لا تُوسّع في المسائِلُ والأنْظار.

- في تَعْليم الولْدان واخْتلاف طُرُقه في الأمْصار.

- في أنّ الشدّة على المُتعَلّمين مُضِرّةٌ بهم.

- في أنّ الرّحْلَةَ ولِقاء المَشْيَخَة مُفيدَةٌ في التَّعْليم.

- في أنّ العُلَماءَ من بَيْن البَشر أبْعدُ عن السّياسَة.

- في أنّ حملَةَ العِلْم في الإسْلام أكثَرُهم العَجَم.

- في أنّ العُجْمة إذا سَبَقت اللّسانَ قصرت بِصاحبها عن تَحْصيل العُلوم عن أَهْل اللّسان العربي[1].

[1] كتب المؤلف هذا العنوان بخطّه في الحاشية، بدلاً من العنوان المشطوب المدرج في متن هذا الفهرس، وهو: في أنّ الأعجام من علماء المِلّة قاصِرون في ملكات العلوم عن علماء العرب.

- في عُلوم اللِّسان العَربي: النّحو، اللُّغة، البَيان، الآداب.

- في أنّ اللُّغة ملكةٌ صِناعيّة.

- في أنّ لُغة العَرَب لهذا العَهْد لُغةٌ بنَفسها، مُغايِرة للُغَة مُضَر وحِمْيَر.

- في أنّ لُغَة أَهْل الحَضَر والأَمْصار لُغَةٌ بنَفسِها كذلِكَ.

- في تَعَلّم اللّسان المُضَريّ.

- في أنّ مَلَكة اللّسان المُضَريّ غير صِناعَة العربيّة، ومُسْتَغْنية عنها في التّعليم.

- في تفْسير لَفْظة الذّوْق عند أهل البَيان، وأنّه لا يَحْصل لمن سَبَقَت له عُجْمة.

- في أنّ أهلَ الأمْصار على الإطْلاق قاصِرون في تَحْصيل المَلَكة اللّسانيّة المُسْتَفادة بالتّعْليم.

- في انْقِسام الكَلام إلى فَنّي النّظم والنّثر.

- في أنّه لا تتّفِق الإجادةُ في النّظم والنّثر إلاّ قليلاً.

- في صِناعَة الشّعْر ووَجْه تعلُّمِه.

- في أنّ صِناعَة النّظْم والنّثر في الألْفاظ لا في المَعاني.

- في أنّ حصولَ هذه الملكة بكَثْرة الحِفْظ، وجَوْدتها بجَوْدة المَحفوظ.

- في بيان المَطبوع من الكلام والمصنوع، وكيف جودة المصنوع أو قُصوره[1].

- في ترَفُّع أهْل المراتب عن انتِحال الشّعْر.

- في أشْعار العَرَب وأهْل الأمْصار لهذا العَهْد.

- شِعْر الجيل العَربيّ: الموشّحاتُ والأَزجال للأندلسيين.

عَروضُ البَلَد للمغاربة

المَواليا ودوبيت لأَهْل المَشْرق

[1] عنوان مضاف بخطّه في الحاشية.



❁ المخطوط "ع"، صدر النسخة وعليها خطّ المؤلّف ومجموعة التملّكات

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني بلطفه
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله

الحمد لله الذي له العز والجبروت وبيده الملك والملكوت ، وله الاسما الحسنى والنعوت ، العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى او يخفيه السكوت ، القادر فلا يعجزه شي في السموات والارض ولا يفوت ، انشانا من الارض نسما ، واستعمرنا فيها اجيالا وامما ، ويسر لنا منها ارزاقا وقسما ، تكنفنا الارحام والبيوت ، ويكفلنا الرزق والقوت ، وتبلينا الايام والوقوت ، وتتعاورنا الاجال التي خط علينا كتابها الموقوت ، وله البقا والثبوت ، وهو الحي الذي لا يموت ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكتوب في التوريه والانجيل المنعوت ، الذي تمخض لفصاله الكون قبل ان تتعاقب الاحاد والسبوت ، ويتباين زحل والبهموت ، وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت ، وعلى اله واصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت ، والشمل الجميع في مظاهرته ولعدوهم الشمل الشتيت ، صلى الله عليه وعليهم ما اتصل للاسلام جده المبخوت ، وانقطع بالكفر حبله المبتوت ، وسلم كثيرا

اما بعد فان فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الامم والاجيال وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال ، وتتنافس فيه الملوك والاقيال ، وتتساوى في فهمه العلما والجهال ، اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول ، والسوابق من القرون الاول ، تنمق لها الاقوال ، وتضرب فيها الامثال ، وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال ، وتودي لنا شان الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقايع واسبابها عميق ،

فهو

* المخطوط "ع" مستهلّ النسخة ، السطران 2 ، 3 بخطّه والنّص بخطّ ابن الفخّار في بدايات عمله

في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من أمم النواحي، وملوك الامصار منهم
والضواحي، سالكا سبيل الاختصار والتلخيص، مقتديا بالمرام السهل من
العويص، داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص ف
فاستوعب اخبار الخليقة استيعابا، واذلل من الحكم النافرة صعابا، واعطى
لحوادث الدول عللا واسبابا، وأصبح للحكمة صوانا وللتاريخ جرابا ن
ولما كان مشتملا على اخبار العرب والبربر، من اهل المدر والوبر، والالمام
بمن عاصرهم من الدول الكبر، وافصح بالذكرى والعبر، في مبادي الاحوال
وما بعدها من الخبر، سميته كتاب العبر، وديوان المبتدا والخبر، في ايام
العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ولم اترك شيا في
اولية الاجيال والدول، وتعاصر الامم الاول، واسباب التصرف والحول
في القرون الخالية والملل، وما يعرض في العمران من دولة وملة، ومدينة
وحلة، وعزة وذلة، وكثرة وقلة، وعلم وصناعة، وكسب واضاعة،
واحوال متقلبة مشاعة، وبدو وحضر، وواقع ومنتظر، الا واستوعبت
جمله، واوضحت براهينه وعلله، فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم
الغريبة، والحكم المحجوبة القريبة، وانا من بعدها موقن بالقصور بين اهل
العصور، معترف بالعجز عن المضا، في مثل هذا القضا، راغب من اهل اليد
البيضا، والمعارف المتسعة الفضا، في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضا،
والتغمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضا، فالبضاعة بين اهل العلم مزجاة،
والاعتراف من اللوم منجاة، والحسنى من الاخوان مرتجاة، والله اسأل
ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبي ونعم الوكيل ٥

المبتدا

والعجم

* المخطوط "ع" حاشية بخط المؤلف

وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمي لسانا حضريا في جميع امصار الاسلام وايضا

فاكثر اهل الامصار في الملة لهذا العهد من اعقاب العرب المالكين لها الهالكين

في ترفها بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات

متوارثة فبقيت لغة الاعقاب على حيال لغة الاباء وان فسدت احكامها بمخالطة

الاعجام شيئا فشيئا وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار

بخلاف لغة البدو من العرب فانها كانت اعرق في العروبية ولما تملك العجم

من البربر والترك اختصوا بلسانهم ولغتهم في اجيالهم وبقي لسان الامصار

على حاله وربما يغلب عليهم بمخالطة اهله فيعرفون لغاتهم ويبرعون فيه

اخر الدهر ولقد كان لهذا العهد عند اهل المشرق الاقصى مثل اهل خوارزم

وما وراء النهر انهم لا يتكلمون باللغة العربية ولا في مجالس تعليم العلم الا ما كان من قراءة

القران او الحديث خاصة وما سوى ذلك فعجمة كلها وهذا والله اعلم لما رسخ

فيهم من ملكة العجم وان الدولة الاسلامية لم يبطل امدها فيهم ولم يطل عهد

العرب بتوطنهم بينهم فلما تقلص عنهم ظل العرب بعض الشيء بتقلص الدولة ؟

فوائدهم في لغاتهم ونسوا عهد اللسان العربي والله يقدر الليل والنهار

ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق وزناتة والبربر بالمغرب وصار لهم

الملك والاستيلاء على جميع الممالك الاسلامية فسد اللسان العربي لذلك وكاد

يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين

وصار ذلك مرجحا لبقاء اللغة الحضرية عربية ؟ فلما ملك التطر والمغل بالمشرق   بالامصار

ولم يكونوا على دين الاسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية على الاطلاق

ولم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية بالعراق وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم   وخراسان وبلاد فارس وارض الهند والسند

وذهبت اساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعيا

بالقوانين المتدارسة من علوم العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله لذلك وربما بقيت

اللغة العربية الحضرية بمصر والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين طالبا لها فانحفظت

بعض الشيء واما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له اثر ولا عين حتى ان كتب العلوم

صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس والله مقدر الليل والنهار

• المخطوط "ع" صفحة بها شطب وتعويض

يكون الوازع لكل أحد من نفسه ولما تناقص الدين في الناس وأخذوا بالأحكام الوازعة ثم صار الشرع علماً وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس إلى الحضارة وخلق الانقياد إلى الأحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين أن الأحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لأن الوازع فيها أجنبي وأما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الأحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن أحكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن أبي زيد في كتابه في أحكام المعلمين والمتعلمين إنه لا ينبغي للمؤدب أن يضرب أحداً من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة أسواط نقله عن شريح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شأن الغط وأنه كان ثلاث مرات وهو ضعيف [redacted]

[redacted] فصل في أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية

اعلم أن الله سبحانه ركب في طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال فألهمها فجورها وتقواها والشر أقرب الخلال إليه إذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذبه الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجم الغفير إلا من وفقه الله ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

البيت لأبي الطيب المتنبي

فأما المدن والأمصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهم إلى بعض أو يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم إلا إذا كان من الحاكم بنفسه وأما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عند الغفلة أو الغرة ليلاً أو العجز عن المقاومة نهاراً أو يدفعه ذياد الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة وأما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة وأما حللهم فإنما يذود عنها من خارج حامية الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة

* المخطوط "ع" صفحة بها شطب وتعويض



في صنيع ذا الأزرق لشرفه خيارا فافهموا يا قوم معنى الإشارا
نجم زحل أحمر يبري العلاما وبدل الشكلا ويبي سلاما شاشية زرقا ترى العماما وطاشت الأزرق بين الغمارا
يقول في آخره ... دا التجنيس لإنسان يهوى يتصلب على واذا مات يوم عيد حتى يجيه الليس البوادي
وأبياته نحو الخمسين وهي في أحكام القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم
المغرب أيضا قصيدة من عروض المتقارب على حد قفا نبك منسوبة لابن الأبار وقال
لي قاضي قسنطينة وكان بصيرا بما يقول وله قدم في علم النجوم تقال لي إن هذا ابن
الأبار ليس هو الحافظ الكاتب مقتول المستنصر وإنما هو رجل خياط من أهل
تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله ينشدني الأبيات
من هذه الملحمة وبقي بعضها في حفظي مطلعها عذيري من زمن قلب يغر ببارقه الأشنب
ومنها في ذكر الحياني تابع ملوك الدولة فيبعث من جيشه قاهرا ويبقى هناك على مرقب
فتأتي إلى الشيخ أخباره فيقبل كالجمل الأجرب ويظهر من عزله سيرة وتلك سياسة مستجلب
ومنها في ذكر أحوال تونس على العموم فإما رأيت الرسوم امحت ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في الترحل عن تونس وودع معالمها واذهب فسوف تكون بها فتنة تضيف البري إلى المذنب
ووقفت بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بني أبي حفص هؤلاء بتونس فيها بعد السلطان
أبي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر أخيه محمد يتول فيه
وبعده أبو عبد الإله شقيقه ويعرف بالوثاب في نسخة الأصل
إلا أن هذا الرجل لم يملك بعد أخيه وكان يمني بذلك نفسه إلى أن هلك ومن ملاحم
المغرب أيضا الملعبة المنسوبة إلى الهوشني وهي على لغة العامة في عروض البلد أولها
دعني يا دمعي الهتان تنزل الأمطار ولم نفتر
واشتقت كلها الوديان وأنتي تمتلا وتتغدر
كلما نروى ما ونا نتأمل ما نروى وانتبه الصيف والشتوا والفالا والربيع تجري فالحر متواا
أنا دبر في ذي الأزمان ذا القرن اشتد وتمرمر
وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى والغالب عليها الوضع لأنه لم يصح منها قول
الأعلى تأويل يحرفه العامة أو يجازف فيه من ينتحلها من الخاصة ووقفت بالمشرق
على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه الألغاز لا يعلم تأويله إلا الله

❁ صفحة من المخطوط "ع" والشعر العامي بخط المؤلّف

وأعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك إلا أنه للخلفاء
بهم من جيلهم ولما ذهب أمر الخلافة وامّحى رسمها انقطع الأمر جملة
من أيديهم وغلب عليهم العجم دونهم وأقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون
الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم كان لهم ملك في القديم وما كان
لأحد من الأمم في الخليقة ما كان لأجيالهم من الملك ودول عاد وثمود
والعمالقة وحمير والتبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الإسلام
بني أمية وبني العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا إلى
أصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الأحيان غلب على الدول
المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته إلا تخريب ما
يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله خير الوارثين

فصل في أن البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لأهل الأمصار

قد تقدم لنا أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والأمصار
لأن الأمور الضرورية في العمران ليس كلها موجودا لأهل البدو وإنما توجد لديهم في
مواطنهم أمور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم بالكلية
من نجار وخياط وحداد وأمثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات معاشهم في الفلح وغيره
وكذا الدنانير والدراهم مفقودة لديهم وإنما بأيديهم أعواضها من مغل الزراعة وأعيان
الحيوان أو فضلاته ألبانا وأوبارا وأشعارا وإهابا مما يحتاج إليه أهل الأمصار فيعوضونهم
عنه بالدنانير والدراهم إلا أن حاجتهم إلى الأمصار في الضروري وحاجة أهل الأمصار إليهم
في الحاجي والكمالي فهم محتاجون إلى الأمصار في الضروري بطبيعة وجودهم فما داموا في
البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الأمصار فهم محتاجون إلى أهلها ويتصرفون
في مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم إلى ذلك وطالبوهم به فإن كان في المصر ملك كان
خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وإن لم يكن في المصر ملك فلا بد فيه من رياسة
ونوع استبداد من بعض أهله على الباقين وإلا انتقض عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على
طاعته والسعي في مصالحه إما طوعا ببذل المال لهم ثم يبيح لهم ما يحتاجون إليه من الضروريات
في مصره فيستقيم عمرانهم وإما كرها إن تمت قدرته على ذلك ولو بالتفريق بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقين

* المخطوط "ع" إضافة بخط ابن خلدون



* المخطوط "ع" إضافة بخطّ ابن خلدون

وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق
وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز وكان الحديث قليلا في أهل العراق لما قدمناه
فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل أهل الرأي ثم أنكر القياس طائفة
من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة
في النصوص والإجماع وردوا القياس الجلي والعلة المنصوصة إلى النص لأن النص
على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان إمام هذا المذهب داود بن علي وابنه
وأصحابهما فكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة
وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم
في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم
وهي كلها أصول واهية وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم
بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح فلا نعرف شيء من مذاهبهم ولا نروي كتبهم
ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت
دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتآليف
وآراء في الفقه غريبة ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمته
وإنكار الجمهور على منتحله ولم يبق إلا في الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من
الطالبين ممن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها
ومذهبهم فلا يحلو بطائل ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه
وربما عد بهذه النحلة في أهل البدع بتلقيه العلم من الكتب من غير
مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علو رتبته في حفظ
الحديث وصار إلى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم
وخالف إمامهم داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه
وأوسعوا مذهبه استهجانا وإنكارا وتلقوا كتبه بالإغفال والترك حتى إنها
ليحظر بيعها بالأسواق وربما تمزق في بعض الأحيان ولم يبق إلا مذاهب
أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز فأما أهل العراق فإمامهم الذي
استقرت عنده مذاهبهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه

* المخطوط "ع" إضافة بخط ابن خلدون

الآباء للبنين على الثوالث وعلى الروابع وهو دليل على أن الأربعة الأعقاب غاية
في الأنساب والحسب والله أعلم

فصل في أن الأمم الوحشية أقدر على التغلب ممن سواها

اعلم أنه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لا
جرم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر فهم أقدر على التغلب
وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم بل الجيل الواحد تختلف أحواله في ذلك
باختلاف الأعصار فكلما نزلوا الأرياف وتفنقوا النعيم وألفوا عوائد
الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم
وبداوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الظباء والبقر الوحشية
والحمر إذا زال توحشها بمخالطة الآدميين وأخصب عيشها كيف يختلف
حالها في الانتهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن أديمها وكذلك الآدمي
المتوحش إذا أنس وألف وسببه أن تكون السجايا والطبائع إنما هو عن
المألوفات والعوائد وإذا كان الغلب للأمم إنما يكون بالإقدام والبسالة
فمن كان من هذه الأجيال أعرق في البداوة وأكثر توحشا كان أقرب إلى
التغلب على سواه إذا تقاربا في العدد وتكافآ في القوة والعصبية وانظر
في ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين إلى الملك
والنعيم ومع ربيعة المتوطنين أرياف العراق ونعمه لما بقي مضر في بداوتهم
وتقدمهم الآخرون إلى خصب العيش وغضارة النعيم كيف أرهفت البداوة
حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانتزعوه منهم وهكذا حال
وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تأخروا في باديتهم
عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يتلبسوا بشيء من دنياهم كيف أمسكت البداوة
عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلقها مذاهب الترف حتى صاروا أغلب على الأمر منهم
وكذا كل حي من العرب يلي نعيما وعيشا خصيبا دون الحي الآخر فإن الحي المتبدي
يكون أغلب له وأقدر عليه إذا تكافآ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

فصل في أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك

وذلك

* المخطوط "ع" حاشية بخطه

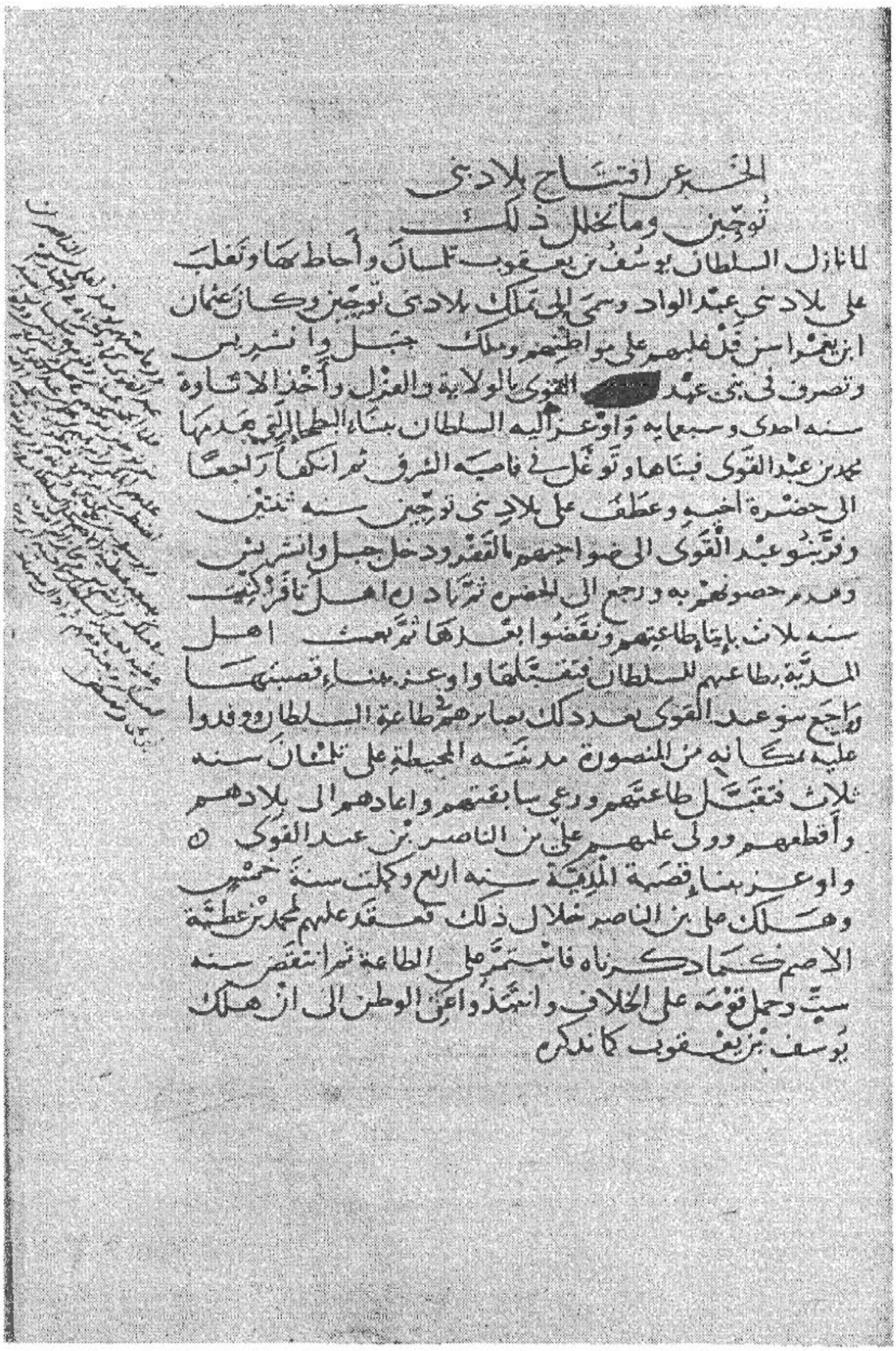


بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احاط علمه بمكنونات الضمائر
وكشف بفضله العميم حجب الاستتار عن اذهان اولي البصائر
نور قلوب عباده المخلصين بحقائق المعارف الدينية ودقائق
المسائل اليقينية ووفقهم للقيام بوظائف الطاعات والمواظبة
على ما التزموه من رواتب العبادات والصلوة والسلام على
سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد واله
الطاهرين الابرار وصحبه الاخيار من المهاجرين والانصار
والتابعين لهم في سلوك مسالكهم وانتهاج ما نهج من مناهجهم
وسلم تسليما كثيرا وبعد فقد اتفق لي مطالعة هذا السفر
وهو السفر الاول من كتاب العبر في اخبار العرب والعجم والبربر
فوجدته كتابا مشحونا بالفوائد الكثيرة والعوائد الجمة الغزيرة
لم يسبق بمثله في الاحاطة باللطائف والاكتناز بكنوز الفوائد
الطرائف دل بحسن تركيبه وغرابة نظمه وترتيبه على
كمال مصنفه في الدراية وسبقه على الاقران في الحفظ
والرواية وكتبت هذه الاسطر بعد الوقوف على ما تضمنه هذا
الكتاب تذكرة لصاحبه متع به وبامثاله بالنبي وآله حرر
هذه الاسطر العبد الضعيف محمد بن يوسف بن محمد الاسفيجابي عفا الله عنه

• نصّ تقريظ الاسفيجابي للكتاب الأوّل (المقدمة)



* صفحة من أحد أجزاء العِبَر ، وفيها شطب وإلحاق وحاشية بخطّ المؤلّف



الخبر عن افتتاح بلاد بني
توجين وما تخلل ذلك
لما نازل السلطان يوسف بن يعقوب تلمسان وأحاط بها وتغلب
على بلاد بني عبد الواد وسمى إلى تملك بلاد بني توجين وكان عثمان
ابن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم وملك جبل وانشريس
وتصرف في بني عبد [illegible] القوي بالولاية والعزل وأخذ الاتاوة
سنة احدى وسبعماية وأوعز اليه السلطان ببناء البطحاء التي هدمها
محمد بن عبد القوي فبناها وتوغل في ناحية الشرق ثم انكفا راجعا
الى حضرة أخيه وعطف على بلاد بني توجين سنة ثنتين
وفر بنو عبد القوي الى ضواحيهم بالقفر ودخل جبل وانشريس
وهدم حصونهم به ورجع الى الحضرة ثم راد من أهل تافركنيت
سنة ثلاث بإيتاء طاعتهم ونقضوا بعدها ثم بعث أهل
المدية بطاعتهم للسلطان فتقبلها وأوعز ببناء قصبتها
وراجع بنو عبد القوي بعد ذلك بصائرهم في طاعة السلطان ووفدوا
عليه بمكانه من المنصورة مدينته المحيطة على تلمسان سنة
ثلاث فتقبل طاعتهم ورعى سابقتهم وأعادهم الى بلادهم
وأقطعهم وولى عليهم علي بن الناصر بن عبد القوي
وأوعز ببناء قصبة المدية سنة أربع وكملت سنة خمس
وهلك علي بن الناصر خلال ذلك فعقد عليهم لمحمد بن عطية
الأصم كما ذكرناه فاستمر على الطاعة ثم انتقض سنة
ست وحمل قومه على الخلاف وانتبذ واعتز الوطن الى أن هلك
يوسف بن يعقوب كما نذكره

❁ حاشية بخطّ ابن خَلْدون على أحد أجزاء العِبَر

واصل بني حمدان فاجاب توزون الى ذلك وعقد الضمان لناصر الدولة على
ما بيده من البلاد لثلاث سنين كل سنة بثلاثة الاف الف وستمائة الف درهم
وعاد توزون الى بغداد واقام المتقي بالرقة ثم احس من بني حمدان ضجرا به
فكتب الى توزون يستصلحه وكتب الى الاخشيد محمد بن طغج صاحب مصر
يستنقذه فسار اليه الاخشيد ولما وصل الى حلب وعليها من قبل سيف الدولة
ابن عمهم ابو عبد الله بن سعيد بن حمدان فرحل عنها وتخلف عنه ابن مقاتل
الذي كان بدمشق عن ابن رائق ولما وصل الاخشيد الى حلب لقيه ابن مقاتل
فاكرمه واستعمله على خراج مصر ثم سار الى المتقي بالرقة فلقيه منتصف
ثلاث وثلثين فبالغ المتقي في اكرامه وبالغ هو في الادب معه وحمل اليه الهدايا
والى وزيره وحاشيته وساله المسير الى مصر والشام فابى فاشار عليه ان لا
يرجع الى توزون فابى واشار على ابن مقلة ان يسير معه الى مصر ليحكمه في دولته
وخوفه من توزون فلم يفعل وجاءتهم رسل توزون في الصلح وانهم — اخر المحرم
استحلفوه للخليفة والوزير فانحدر المتقي الى بغداد وعاد الاخشيد الى
مصر ولما وصل المتقي الى هيت لقيه توزون فقبل الارض ورأى انه تحلل
من يمينه بتلك الطاعة ثم وكل بهم وسمل المتقي ورجع الى بغداد فبايع
للمستكفي

استيلاء سيف الدولة على حلب وحمص

ولما ارتحل المتقي من الرقة وانصرف الاخشيد الى الشام بقي يانس المونسي بحلب
فقصده سيف الدولة وملكها من يده ثم سار الى حمص فلقيه بها كافور مولى الاخشيد
فهزمه سيف الدولة وسار الى دمشق فامتنعوا عليه فرجع وجاء الاخشيد
من مصر الى الشام وسار في اتباع سيف الدولة فاصطفا بقنسرين ثم تحاجزا
ورجع سيف الدولة الى الجزيرة والاخشيد الى دمشق ثم سار سيف الدولة
الى حلب وملكها وسارت عساكر الروم اليها فقاتلهم وظفر بهم ثم بلغ ناصر الدولة
ابن حمدان ما فعله توزون من سمل المتقي وبيعة المستكفي فامتنع من حمل المال
وهرب اليه غلمان توزون فاستخدمهم ونقض الشرط في ذلك وخرج توزون
بالمستكفي قاصدا الموصل وترددت الرسل بينهم في الصلح فتم ذلك اخر سنه

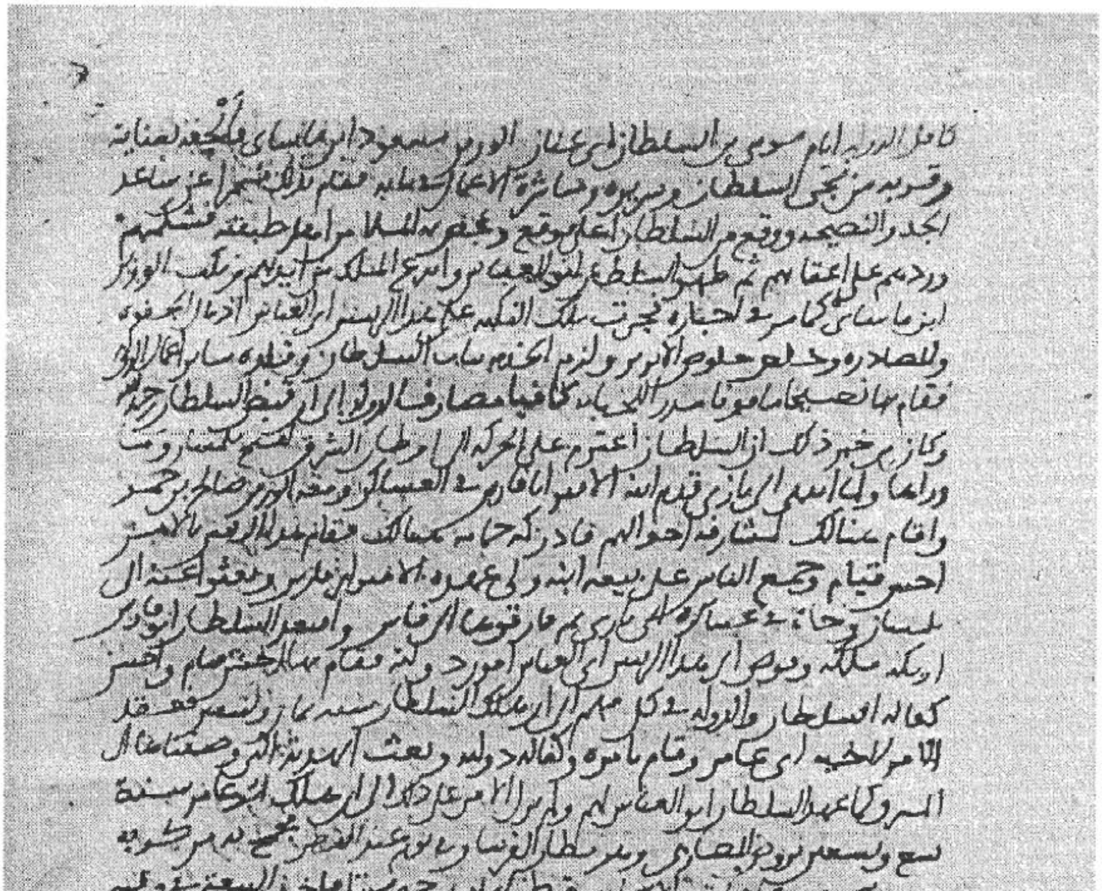
• صفحة من أحد أجزاء العِبَر ، مُحَشّاة بخطّ المؤلّف



الخبر عن القبائلي كاتب ولد السلطان ابي العباس والقايم بديوان العلامة منهم بعده الى ان كانت نكبته في دولة الاخير منهم

كان هذا الرجل وهو احمد بن علي القبائلي وسلفه من بطانة بني عبد المومن خلفاء الموحدين بمراكش خرج جده مع فل الموحدين عند مقتل ابي دبوس اخرهم سنة ست وستين وستمائة وانقراض ملكهم وخرج هذا الفل من مراكش فلحقوا بالجبل تينملل معقل المصامدة ومدفن الامام محمد بن تومرت وقد بايعوا لاسحق اخي المرتضى ونصبوه واقاموا هنالك دهرا وجيوش بني مرين تتعاورهم الى ان غلبوا على جبل تينملل سنة اربع وسبعين وتقبض على اسحق اخي المرتضى وابي سعيد ابن عمه ابي الربيع وكاتبهم القبائلي واولاده وسيقوا الى السلطان يعقوب بن عبد الحق فقتلوا جميعا وانقرض امر بني عبد المومن وتناسل اعقاب القبائلي بفاس في ايالة بني مرين ونشوا في ظل دولتهم يتصرفون في دواوين الجباية وارزاق الجند ومهمات الاعمال الحسابية بما لهم في ذلك من الكفاية والاضطلاع سائر ايام الدولة حتى ظهر منهم الرئيس ابو الحسن علي والد هذا الرئيس وبرز على اهل صناعته بكفايته واضطلاعه وباشر خدمة السلطان ابي الحسن في دولته فكشف عن غنائه وخبر صادق نصحه وضبطه فاصطنعه وقربه وردف به كبير الخلصاء والاولياء ببابه ابا الفضل بن ابي مدين فكان مساهما له عند السلطان ومؤنسا بالبعض من جهات الاعمال وربما كان يشف عليه في كثير بكفايته واضطلاعه وقيامه على تلك الصناعة منذ اول امره وركب البحر من تونس في جملة السلطان ابي الحسن واصابهم من الغرق ما مر ذكره في دولته وخلصوا الى الجزائر فاستكفاه السلطان في جمل تلك الوظيفة وزاده اليها وظيفة العلامة الرسم المكتوب اواخر الاوامر والمراسلات فقام بالوظيفتين احسن قيام ثم جمع بنو عبد الواد لمانعة السلطان ابي الحسن عن بلادهم واستمدوا ابنه ابا عنان ملك المغرب فامدهم بعساكر بني مرين وزحفوا للقائه يشردونه من وطن مغراوة فانهزم السلطان في ذلك اللقاء وقتل ولده الناصر واكابر رجاله وهو ابن حرام كان سلفهم مثل هذا الرئيس ونشا بنوه في ظل الدولة ونعمتها يتصرفون في مصادر الاعمال السلطانية كما كان سلفهم ثم نشا احمد هذا الرئيس الثاني منهم قارئا كاتبا عارفا بالحساب وصناعة الديوان احدهما عن كبير مشيختهم ابي الحسن ابن مسعود العامل فيها لخدمة السلطان بعد [illegible] من القبائلي فنبغ فيها واضطلع وبرز على طبقاتها وباشر خدمة السلطان فنهض فيها [illegible] الى ان اختصه

• صفحة مُضافة ضمن العِبَر، بخطّ ابن خَلْدون



* صفحة مضافة بخطّ ابن خلدون، في الجزء السّابع من العِبَر

السفينة في ان ينزل له بجاية فأسعفه بذلك نخرج من الطارمة التي كان بها معتقلا وصار الموكلون به في طاعته وبعث الى محمد بن ابي مهدي قايد الاسطول ببجاية المستبد على ابيه وهاب ولد السلطان ابي العباس ابن ابي حفص وكان محمد بن واربث خالصة المنتصر ابن ابي حمو من حشية دولتهم [redacted] بالاجابة الى ما سأل وانزله بجاية آخر شهر ربيع وسكن ببستان الملك المسمى بالرفيع وطير بالخبر الى السلطان بتونس فشكر له ما أتاه من ذلك وامر بالاستبلاغ في تكرمته وان يخرج عساكر بجاية في خدمته الى حوال حدوده عمله متى احتاج اليها ثم خرج السلطان ابو حمو من بجاية ونزل متيجة واستنفر طوايف العرب من كل ناحية فاجتمعوا اليه ونهض يريد تلمسان واجتمع عصبته بنو عبد الواد على ابي تاشفين بما بذل فيهم من العطاء وقسم من الاموال فتثاقلوا السلطان ابي حمو واستصعب عليه امرهم وخرج الى الصحراء وخلف ابنه ابا زيان في جبال شلف مقيما للدعوة وبلغ الى تاسة من ناحية المغرب وبلغ الخبر الى ابي تاشفين فبعث عسكرا الى شلف مع ابنه زيان ودونه محمد بن عبد الله بن مسلم فرأى قدوا امر ابي زيان ابن السلطان ابي حمو فهزمهم وقتل الوزير ابن ابي تاشفين وزير ابن مسلم وجماعة من بني عبد الواد وكان ابو تاشفين في الطلبة وصول ابيه الى تاسة سار اليه من تلمسان في جموعه فاحتمل ابو حمو الى وادي بها واستجاش بالاحلاف من عرب المعقل هنالك لحماية النصر وعاود تاسة فنزلها واقام ابو تاشفين قبالته ولحقته هنالك هزيمة اتبعه ومقتله نولى منهزما الى تلمسان وابو حمو في اتباعه ثم سرح ابو تاشفين مولاه سعادة في طايفة من العسكر لمحاولة العرب في التحليل عن ابي حمو فانهزم ابو حمو في الزجية وهزمه وقبض عليه وبلغ الخبر الى ابي تاشفين بتلمسان وكان يؤمل الفتح بعد سعادة فيما توجه فيه فانفض عنه بنو عبد الواد والعرب الذين معه وخرج هاربا من تلمسان مع اوليائه من سويد الى مشاتيهم بالصحراء ودخل السلطان ابو حمو تلمسان في رجب سنة عشر وقدم عليه ابناؤه فاقاموا معه بتلمسان يخطرون المنتصر ابنه المرض فهلك بها لايام من دخوله تلمسان واستقر الامر على ذلك ٥

نهوض ابي تاشفين بعساكر بني مرين ومقتل السلطان ابي حمو

لما خرج ابو تاشفين من تلمسان امام ابيه واتصل باحياء سويد اجمعوا رايهم على الاستنجاد بصاحب المغرب فوفد ابو تاشفين ومعه محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان ابي العباس صاحب فاس وسلطان بني مرين صريخين على شانهما فتقبل وفادتهما ووعدهما بالنصر من عدوهما واقام ابو تاشفين عنده ينتظر انجاز وعده وكان بين ابي حمو وابن الاحمر صاحب الاندلس شيجة ود وعقد وصلة ولابن الاحمر دالة وتحكم في دولة ابي العباس صاحب المغرب بما سلف من مظاهرته على امره اول دولته فبعث اليه ابو حمو في الدفاع عنه بما جاء ابو تاشفين من المغرب اليه فلم يجبه صاحب المغرب لذلك ووافاه بذمته وعلله بالقعود عن نصره والح عليه ابن الاحمر في ذلك فتعلل بالمعاذير وكان ابو تاشفين قد عقد لاولئك ومعه من وزرائه ولد محمد بن يوسف بن علال حلفا اعتقدا الوفاء به فكان هواه في انجاده ونصره من عدوه فلم يزل يفتل للسلطان في الذروة والغارب ويلوي عن ابن الاحمر المواعيد حتى اجابه السلطان الى غرضه وسرح ابنه الامير ابا فارس والوزير محمد بن يوسف بن علال في العساكر لمصارخة ابي تاشفين وفصلوا من فاس اواخر احدى وتسعين وانتهوا الى تازى وبلغ خبرهم الى السلطان ابي حمو فخرج من تلمسان وجمع اشياعه من بني عامر ولقرا ج من عبد الله وقطع جبل بني ورنيد المطل على تلمسان وسار الى نواحي جبون سهارة وبلغ الخبر الى ابي تاشفين بمفارقته تلمسان فتقدم الى تلمسان جريدة المكر والخداع وشيطان الشر والفتنة موسى بن يخلف فاستولى عليها واقام دعوة ابي تاشفين فيها وطار الخبر الى ابي حمو

صعث

* شطب وإلحاق من عمل المؤلّف على آخر الجزء السابع من العِبَر


التكرمه وامثال المراسم ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنه ثلاث
وسبعين بمقامته من تلمسان فاهتزت له الدوله واركب السلطان خاصته
لتلقيه واحله من مجلسه بمحل الأمن والغبطه ومن دولته بمكان التنويه
والعزه واخرج لوقته كاتبه ابا يحيى بن ابي مدين سفيرا الى صاحب
الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم على اكمل حالات الامن والتكرمه
ثم لغط المنافسون له في شانه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابداء
ما كان كامنا في نفسه من سقطات دالته واحصاء معايبه وشاع
على السنه اعدائه كلمات منسوبه الى الزندقه احصوها عليه ونسبوها
ورفعت الى قاضي الحضره ابي الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقه
وراجع صاحب الاندلس رايه فيه وبعث القاضي ابن الحسن الى السلطان
عبد العزيز بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم عن ذلك
وانف لذمته ان تخفر ولجواره ان يرد وقال لهم هلا انتقمتم منه
وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص اليه بذلك
احد ما كان في جواري ثم وفر الجرايه والاقطاع له ولبنيه ومن جاء
من فرسان الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز
سنه اربع وسبعين ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار
هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القايم بالدوله فنزل بفاس واستكثر
من شراء الضياع وتانق في بناء المساكن واغراس الجنات وحفظ عليه
القايم بالدوله الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله
على ذلك الى ان كان ما نذكر

• حاشية وشطبٌ وإلحاق على صفحة من العِبَر

2❁ مخطوط مكتبة السُّلطان أحمد الثالث (ي) طوب قبو سراي، رقم A 1 / 3042

سُجّل اسم الكتاب على صدر النّسخة بخطّ حديث، فيه: "المجلد الأول من تاريخ ابن خلدون المسمّى بالمقدّمة"، وعليه تملّكان: الأول كتب بخطّ جليّ بموازاة عرض الصّفحة: "لمحمد عبد الرحمن الضّارب عفا الله عنهما سنة 818هـ" (1415م). والثاني ختم السّلطان أحمد بطُغرائه في نموذجين متفاوتين في قُطْر دائرتهما، في الأوّل: "وقف السُّلطان أحمد خان بن غازي سلطان محمّد خان". وفي الثاني الآية: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف، من الآية 43].

وهو نسخة تامّة من تجزئة سبعة، تشمل كامل الكتاب الأول من العبر (المقدّمة)، في 297 ورقة، مقاس 26,5x18 سم، المساحة المكتوبة 20x13سم، مسطرة 25، خطّها متفرّد قليل الأشباه فيما رأيت، لم تتغيّر قاعدة أدائه على امتداد النصّ، ولم يختلف قلمه ولم تضعف يدُه الثّابتة القويّة في كل ما كَتَبَتْهُ. ولم أتمكّن من تَصْنيفه ضمن الأسماء المعروفة لمدارس الخطّ، ويمكن القول إنّه بين خَطّي النّسخ والتّعليق.

والكاتب قليل الإعجام قليل الخطإ، كتبَ عناوين الفُصول بخطٍّ أكبر من خطّ النصّ وشكّله بالحركات شكلاً تامّاً صحيحاً ، وخطّها أقرب إلى خطّ الثّلث.

ومع أنّ هذه النّسخة قد ضمّت الكتاب الأول من العِبَر (المقدّمة) بدون نقص، وجاءت خاتِمتها مُستوفية لتاريخ إتمام الجزء بالوضع والتأليف والتنقيح والتهذيب، إلا أنّ النّاسخ المتميّز لم يذكر اسمَه وتاريخ الكتابة؛ وقد بحثت عنه لعلّي أوفّق لما يُساعد على تأْريخ النّسخة؛ وسعرفة كاتبها، ومع الجهد المبذول، ظلّ اسمه وتاريخه على ما هو عليه من الغُموض، وكلّ ما خرجتُ به، أنّي عثرتُ على أثَرٍ مهمّ قد يكون بخطّه، لأنّه كُتب[1] على الطريقة نفسها. وهي طريقة مُفْصِحَة عن كفاية نَسّاخٍ مُتمرّسٍ يُباشر نسخ الكتب الكَبيرة ذات الأجزاء العديدة لثبات يده.

وقد خَصّ فرانز روزنتال هذه النسخة بتَعْريفٍ قصير[2]، وبنَى على تملّك محمد الضارب سنة 818هـ(1415م) بأنّ المخطوطَ لا بدّ أن يكون قد دُوّن في تلك السّنة أو قبلها (!) (كذا) "وأنّه هو المخطوط الوحيدُ الموجود الّذي يحتوي على صورة مبكّرة من نصّ المقدمة".

وقد عَرض الدكتور بَدوي[3] لرأْي روزنتال هذا، وتداخل حديثُه بموضوع كتاب التّعريف الّذي أَلْمح إليه روزنتال من غير تَفْصيل، وأشار إلى قول الطّنْجيّ الذي عنَى به التعريفَ، وهو أنَّ المخطوطَ روايةٌ حديثة لكتاب العبر.

(1) انظر: القطعة المنتقاة من الجزء 17 من كتاب ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار (من صفحة 2 إلى 350) نشره مصوراً الدكتور فؤاد سزكين - معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية - فرنكفورت 1989، وأصل المخطوط في مكتبة أيا صوفيا رقم 3439 - السليمانية - إستانبول .

(2) F. Rosenthal , 1: x cv111 (6)

(3) مؤلفات ابن خلدون 111 .

وحقيقةُ أَمْر هذا المخطوط، أنّه بالنّسبة لمجموعة المخطوطات الموثّقة التي اعتمدْناها لهذه النَّشْرة، هو النّسخةُ الأولى الّتي نُقِلت عن نُسخة عاطف بقَدْر ما بلغْته الزياداتُ عليها في تلك المرحلة؛ وفي ذكر فُروق النّسخ في نَشْرتنا يتبيّن ما أدْركه عليها فأثبته، وما طرأ بعده ففاته.

والمؤكّد أنّه كُتب في المَرْحلة المصريّة لابنِ خلدون، بعد اسْتِقْراره والأَخْذ في مراجَعة عَمله في العِبر، وقَبْل تاريخ سنة 797 هـ (1395م) تاريخ كتابَة نُسْخة الظّاهريّ الّتي أَوْردت إضافاتٍ مطوّلة وقصيرة لَمْ تُذكر فيه، مثل الصّفحة التي أُلحقت بنُسْخة (ع) والمتضمّنة للنصّ المنقول عن جِراب الدّولة الّذي كتبه الحسنُ بن عمّار وتقدّمت الإشارة إليه.

أمّا عن افْتراض روزنْتال حول تاريخه فغير صَحيح، فالنّسخة راجعها ابنُ خَلْدون بنفسه وقوبلت عليه على نُسخة (ع)، فأصْلَح وأكْمل بيده ما فات نَسْخُه أو ما اسْتَدْركه وَقْتها، ويوجَد خطُّه الّذي يمكن مُقارنته - بما قَدَّمنا الحديثَ عنه - في نُسْخة عاطِف، على حَواشي الصّحائِف التالية:

8 أ - صفحتان بين الورقتين 43، 44، 65ب، 66أ، 86ب، 95أ، 105ب، 106ب، 107أ، 112ب، 182أ، 195ب، 206ب .

وإذا ذكرنا بأن نسخة (ع) ، هي الأصل الذي تعهّدهُ المؤلّف بالمُراجَعة والإضافة إلى آخر حياته، وهي نُسْختُه التي لا يتخلّى عنها. فتكون هذه النّسخة (ي) هي النسخة الباقِية من الأُصول الّتي سَبقت غيرَها بالنّقل عنها - فيما بلغنا - واسْتَوْعبت ما سَجَّله في حينه قبل سنة 797هـ (1395م) .



● المخطوط "ي" صدر الكتاب والأختام والتملك


[illegible]
لقول [illegible]
عبد الرحمن [illegible]
الحمد لله الذي له العزة [illegible] الاسما الحسنى
والنعوت العالم فلا يعزب [illegible]
القادر فلا يعجزه شي في السماوات [illegible]
واستعمرنا فيها اجيالا وامما ويسر لنا منها [illegible] الارحام
والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وله البقا والثبوت وهو الحي الذي لا يموت
والصلاه والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكتوب في التوراة والانجيل
المنعوت الذي تمخض لفصاله الكون قبل ان تتعاقب الاحاد والسبوت
ويتباين زحل والبهموت وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت وعلى آله
واصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت والشمل الجميع في مظاهرته
ولعدوهم الشمل الشتيت صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده
المبخوت وانقطع بالكفر حبله المبتوت وسلم كثيرا اما بعد فان
فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال وتشد اليه الركائب
والرحال وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال
وتتساوى في فهمه العلما والجهال اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول
والسوابق من القرون الاول تنمو فيها الاقوال وتضرب فيها الامثال وتطرف
بها الاندية اذا غصها الاحتفال وتودي لنا شان الخليقة كيف تقلبت بها
الاحوال واتسع للدول فيها المجال وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال
وحان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكاينات ومباديها
دقيق وعلم بكيفيات الوقايع واسبابها عميق فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق
وجدير بان يعد في علومها وخليق وان فحول المورخين في الاسلام قد استوعبوا
اخبار الايام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها وخلطها المتطفلون
بدسايس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها
ووضعوها

وبلتنا الايام والوقوت وتعتورنا الاجال التي خط علينا كتابها الموقوت

النطاق

* الصفحة الأولى من المخطوط "ي"


بلاد القرآن من أمره وافترق الحواريون [illegible]
إلى دين النصرانية وكان بطرس [illegible]
الإنجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه [illegible]
متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان
اللطيني وكتب لوقا منهم إنجيله باللطيني لبعض أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي
منهم إنجيله برومة وكتب بطرس إنجيله باللطيني ونسبه إلى مرقس تلميذه واختلفت
هذه النسخ الأربع من الإنجيل مع أنها ليست كلها وحيًا صرفًا بل مشوبة بكلام
عيسى صلوات الله عليه وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والأحكام فيها قليلة جدا
واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها
بيد أقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن
شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة
وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك أربعة وسفر بنيامين وكتاب
المقابيين لابنه وكتاب عزرا الإمام وكتاب أوشير وقصة هامان وكتاب أيوب
الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة
ونبوات الأنبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ ومن شريعة
عيسى صلوات الله عليه المتلقاة من الحواريين نسخ الإنجيل الأربعة وكتب القتاليقون
سبع رسائل وثامنها كتاب بولش أربع عشرة رسالة وكتاب أبركسيس وهو قصص الرسل [illegible]
[illegible] وكتب وسمي [illegible] واختلف شأن القياصرة في الأخذ بهذه الشريعة
تارة وتعظيم أهلها ثم تركها أخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغي إلى أن جاء قسطنطين
وأخذ بها واستمروا عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه
البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه إلى ما
بعد عنه من أمم النصرانية ويسمونه الأسقف أي نائب البطرك ويسمون الإمام
الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه
في الخلوة للعبادة بالراهب وأكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس
الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية إلى أن قتله نيرون خامس القياصرة
نيرون

* من المخطوط "ي". حواش للتنقيح والتصويب



* نموذج من كتابة المخطوط "ي" وعليه إضافة بخطّ المؤلّف


الدواوين بدار المأمون المشتمل على كثير من الدخل والخرج يومئذ وكان فيما طالعته
فيه أرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين فوقفته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع
إليه وقضينا العجب من أسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القدير
فصل في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية
وذلك لأنه أصل في الطبيعة وبسيط في منحاه ولهذا لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضر
في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى
السكة ببعض دور الأنصار ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذل وحمله البخاري
على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو تجاوز
الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم
واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة قال
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما إشارة إلى الملك
العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في
واعتبار الحقوق كلها مغارم للملوك والدول والله قادر على ما يشاء
فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها
اعلم أن معنى التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها
بالغلاء أيا ما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو سلاح أو قماش وذلك القدر النامي
يسمى ربحا والمحاولة لذلك الربح إما بأن يختزن السلعة ويتحين بها حوالة الأسواق
من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر
من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف
عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة
إشارة منه بذلك إلى المعنى الذي قررناه والله الرزاق ذو القوة المتين
فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك

* حاشية بخط المؤلف على المخطوط "ي" وعناوين الفصول مشكولة

يتصل به الصفح الايمن العاقل بعد قوله ويتم مراد الله من الكائن دينه في ملته وقبل قوله

ولتذكر الان تفسير حقيقة النبوة [illegible]

ومن علامة [illegible] افعال العجز البشر عن مثلها

[illegible] تقع غير محل القدرة

[illegible] خلاف ما المتكلمون بناء على

[illegible] لله لا بفعل النبي وان كانت افعال

العباد [illegible] المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي

[illegible] باذن الله ومن ان يستدل بها النبي قبل وقوعها على

صدقه [illegible] وقعت تنزلت منزلة القول الصريح من الله بانه صادق ويكون

دلالتها [illegible] على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة مجموع الخارق والتحدي ولذلك كان

التحدي جزءا منها وعبارة المتكلمين صفة نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتي عندهم

والتحدي هو الفارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة فيهما الى التصديق فلا

وجود للتحدي فيهما الا ان وجد اتفاقا وان وقع التحدي في الكرامة عند من يجيزها وكانت

لها دلالة فانما هي على الولاية وهي غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وغيره

وقوع الخوارق كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد ريناك المغايرة

المغايرة بينهما وانه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا لبس على ان النقل عن الاستاذ

في ذلك ليس صريحا وربما حمل على انكار ان تقع خوارق للانبياء لهم بناء على اختصاص

كل من الفريقين بخوارقه واما المعتزلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان

الخوارق ليست من افعال العباد وافعالهم معتادة فلا خارق واما وقوعها على يد الكاذب

تلبيسا فهو محال اما عند الاشعرية فلان صفة نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت

بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة والقول بالتصديق كذبا واستحالت

الحقائق واما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله

واما الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم

في الايجاب الذاتي وفي وقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الاسباب والشروط

الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب بالذات الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس

النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق وطاعتها لقدرته وطاعة

العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على التصريف في الاكوان متى توجه اليها

واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان للتحدي او لم يكن وهو

شاهد بصدقه من حيث دلالته على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من خواص النفس

النبوية لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها عندهم قطعية

كما هي عند المتكلمين ولا يكون التحدي جزءا من المعجزة ولم يصح فارقا لها عن السحر والكرامة

وفارقها عندهم عن السحر ان النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر

فلا يلم الشر بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها شر وفي مقاصد الشر

[illegible]

* المخطوط "ي" : صفحة مضافة بخطّ المؤلّف


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

سنه احدى واربعين الى سنه خمسين وخمسمايه

ذكر استيلاء الفرنج على طرابلس

وسبب ذلك انهم نزلوا عليها وحاصروها فلما كان اليوم الثالث
من نزولهم سمع الفرنج في المدينه ضجة عظيمه وخلت الاسوار
من المقاتله وسببه ان اهل طرابلس اختلفوا فارادت طايفه
منهم تقديم بني مطروح فوقع الحرب بين الطايفتين وخلت
الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة وطلعوا بالسلالم وملكوها
بالسيف في محرم هذه السنه وسفكوا دما اهلها وبعد ان
استقر الفرنج في طرابلس بذلوا الامان لمن بقي من اهل طرابلس
وتراجعت اليها الناس وحسن حالها وفيها سار زنكي ونزل
على قلعة جعبر وحصرها وصاحبها على بن مالك بن سالم
بن مالك بن بدران بن المقلد العقيلي وارسل عسكرا الى قلعه
فنك وهي تجاور جزيره ابن عمر لحصرها ايضا وصاحبها حسام الدين
الكردي البسنوي ولما طال على زنكي منازلة قلعه جعبر
ارسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج يقول لصاحب
قلعه جعبر قل لي من يخلصك مني فقال صاحب جعبر يخلصني

منك ٢

❁ نموذج من خط الجزء 17 من مسالك الأبصار ، المضاهي لخط كاتب المخطوط "ي"

عادلاً حليماً ولداً صغيراً ولما حضره الموت سلم ولده الى اقسنقر
الاحمديلي وقال له انا اعلم ان العساكر لا تطيعه لانه طفل فهو وديعة
عندك فارحل به الى بلادك فرحل به اقسنقر الى بلد مراغة ولما مات
السلطان محمد اختلفت الامرا فطائفه طلبت ملكشاه اخاه وطائفه
طلبوا سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه بن السلطان الب ارسلان
الذي كان اعتقل في الموصل وهم الاكثر ومنهم من طلب
ارسلان بن طغرل الذي مع الدكز وبعد موت محمد سار اخوه ملكشاه
الى اصفهان وملكها وفيها مرض نور الدين محمود بن زنكي مرضاً
ارجف بموته بقلعة حلب فجمع اخوه امير ميران بن زنكي جمعاً
وحصر قلعة حلب وكان شيركوه بحمص وهو من اكبر امرا نور الدين
فسار الى دمشق ليستولي عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه
ايوب ذلك وقال اهلكتنا المصلحة ان نعود الى حلب فان كان
نور الدين حياً خدمته في هذا الوقت وان كان ميتاً فانا في دمشق
اكفيكها فعاد شيركوه الى حلب مجداً وجلس نور الدين في شباك
يراه الناس فلما راوه حياً تفرقوا عن اخيه امير ميران واستقامت
الاحوال واستقر وفيها ملك اليمن علي بن مهدي وازال ملك بني نجاح على ما
قدمنا ذكره في سنة اثني عشرة واربع مائة وعلي بن مهدي المذكور

• نموذج من خطّ الجزء 17 من مسالك الأبصار ، المضاهي لخطّ كاتب المخطوط "ي"

3- مخطوط الظّاهريّ (ظ)
مكتبة الدّاماد إبراهيم باشا، رقم 863

هذه النّسخَة الوحيدة الّتي وصلَتْنا كاملةً من عَصْر المؤلِّف، ومحفوظة في حالةٍ جيّدة، وقد اهتمَّ ابنُ خَلْدون بها كلَّ الاهتمام، فاسْتكتَب في إعْدادها أكثرَ من ناسِخ ، اقْتصرَ الأوّلُ منهم - ولا نَعْرف اسْمَه - على نَسْخ الكتاب الأوّل [نصف المقدمة]، وخَطُّهُ بارِعٌ غايةً في التّناسق والتّناسب والجَمال، وكُتِبَ بقيّةُ الكتاب بأجْزائه المتعدّدة بخُطوط نَسْخ جَيّدة مُتقاربة في أشْكالها.

وجُلّدت النُّسْخة في سَبْع مُجلَّداتٍ، يضمّ كلُّ واحدٍ منها جزأيْن مُتتابعين، ويتقدَّمُ كلَّ جزءٍ غُرَّةٌ من الإذْهاب الكَبير[1]، مُقَسّمة إلى ثَلاث مَناطق أُفقيَّة، في المستطيل الأَعْلى زخارفُ نباتيّة مُترابِطة، رُسِمَت بحِبرٍ لازَوَرْديّ على أرضيّة زَرْقاء، وكُتب فيها بخطّ نَسْخٍ جميل مُذهّب: "الأوّلُ من الظّاهري في العِبَر"، وفي المنطقة المُسْتطيلة السُّفلَى وبالأُسلوب الأوّل نَفْسه، بقية الاسْم: "بأخْبار العَرَب والعَجَم

[1] ورد هذا المصطلح في السجلّ القديم لمكتبة جامع القيروان ، الّذي نشرناه في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثاني، الجزء 2 - القاهرة 1956 .

والبَرْبَر"، وبالمَنطقة الوُسطى المحصورَة بَيْنهما دائرةٌ طوقُها مفَصَّص ثُمانيّ، تحيط به أوْراق ثلاثيّة مُذهّبة على أرضيّةٍ زَرْقاء، كتب فيها: "بِرسْم الخِزانَة الشَّريفة الملكيّة الظّاهريّة أعزّ الله أنصارَها"، وهكذا تتصدَّرُ هذه الصَّفحة كلَّ جزء من الأَجْزاء الأربعة عشر، مع تَغْيير عَدد الأجزاء بالتّتابع.

يذكر ابنُ حَجر وغيره[1] أنّ ابن خَلْدون صنّف التّاريخ الكبيرَ في سَبْع مجلّداتٍ ضَخْمة، والأَجْزاءُ المختلفة الباقية تؤكّد أنّ الكتابَ سُباعيّ التّقسيم، ولا يُدْرَى لماذا أوقف الكتابَ على هذا الرَّقْم، وهل هو تَعلُّق بخصوصيّات العَدد، أم يُشير به إلى الاحْتواء الشّامِل لأَخْبار الماضِين واسْتيعابه، كأنّه الأقاليم السّبعة الّتي هي مُسْتقرّ العُمْران الإنْسانيّ.

ونُسْخة الظّاهريّ هي الأُولى الّتي قَسَّمها إلى أَرْبعة عَشر جُزْءاً، تَيْسيراً لاسْتعمالها، وصَدَّرَ كلّ جُزْء بفِهرس، وسنَتحدّث عن كلّ جزء في مَوْقعه عند نشر أجزاء الكتاب، ثمّ نُسخةُ حالَتْ (خالد) أفندي، الّتي يَبْدو أنَّ لها التّقسيم نَفْسه حسبما يأتي.

(1) بدوي: مخطوطات ابن خَلْدون 286، نقلاً عن إنباء الغمر (مخطوط أحمد الثالث رقم 2941، 1: لوحة 172)، إستانبول. السخاوي: الإعلان بالتوبيخ 312 ، ولكن المقرى في النّفح (6: 191) يقول إنّه رآه بفاس في ثماني مجلّدات كبار جداً، وقد عرّف في آخره بنفسه. فهل وَهِم في ذلك ، ولا أحسب أن كتاب التعريف تجاوزَ في ذلك الزّمن بخطّ ابن الفخّار خمسين ورقة حتى يُفْرد في جُزْء مستقلّ ، ويَذْكر العددَ نفسَه وهو يتحدّث عن وَقْعة طريف (النفح 5: 15) إذ يشير إلى أنّ ابن خَلْدون قد ألمّ بها في العبر في الجزء الثامن؛ وموقعة طَريف هذه جاءت في طبعة بولاق في الجزء 7: 261، فأكدّت أنّ الثّامن لم يَعْن "التّعريف"، وربما الأقرب للإقناع أن يكون أحد الأجزاء قد قُسّم إلى قسمين.

ولهذه النّسخة تاريخ يَرْتبط بمرحلة مُهمّة من حياة المؤلّف، ذلك أنَّ ابنَ خَلْدون دخل القاهرة الّتي بهرتْه بعُمْرانها ومؤسّساتها أوّل ذي القِعدة سنة 784هـ/ (يناير1383م)، وانثال عليه طلبةُ العلْم يلْتمسون منه الإفادَة، فجلس لهم للتّدريس بالجامع الأزهر[1]؛ وأقبل النّاس عليه وراقهم كلامُه وأعْجبوا به كما يقول المقْريزي[2]، واشتهر بحُسْن مُحاضرته ودِقّة تَرَسُّله وتَحْليله في تدريس الفِقْه وأُصوله، فقد "كان يَسْلك في إقْراءِ الأُصول مَسْلك الأقدمين، كالغزاليّ وفخْر الدين الرّازيّ، مع الغَضّ والإنْكار على الطّريقة الّتي أحدثها طلبةُ العَجَم ومن تَبِعهم في توغُّل المشاحّة اللّفظيّة"[3].

وأصبح له موقعٌ مهمّ عند المماليك الجراكسة، فقد انْجذب إليه أحدُ كبار وجوه الدّولة ورعاه كلّ الرّعاية، وعَبّد له في الحياة العامّة أَرْحب المسالِك، وهو علاءُ الدّين أَلْطُنْبُغا الجوبانيّ[4]، الأثير لدى السّلطان الملك الظّاهر بَرْقوق، لِمَا جمعَ بينهما من قَديم الصّحبة الّتي انتهت به أن يكون في رُتْبة "أمير مَجْلس"، وهو صاحب الشّورى في الدّولة. فكان سبيلَه للاتّصال بالسّلطان الّذي يَذْكر ابنُ خلدون أنّه "أبرّ لِقاءَه وأنّس غُرْبَته" ووسّع عليه في إقامته، ويَبْدو أثرُ هذه الرّعاية فيما تولاّه من مَناصب علميّة للتّدريس في المؤسّسات المُختلفة: المَدْرسة القَمْحيّة، والمدرسة

(1) التعريف 255 .

(2) السلوك 2/3 : 480

(3) السخاويّ: الضّوء اللاّمع 3: 148، وترجمة ابن عمّار في الضوء اللامع 8: 233 وقد أخذ عن ابن خلدون أصولَ الفقه، وسمع قطعةً من مقدمة تاريخه.

(4) أخباره في العبر 5: 476 - والمنهل الصافي 1: 8

الظّاهريّة، ومدرسة صَلْغَتْمَش، وولاية خَانقاه بَيْبرس الّتي كان رزق النّظر فيها والمَشْيخة واسِعاً لمن يتَولاّه[1]، ثم ولاية القَضاء، والشّفاعة له عند السّلطان أبي العبّاس أحْمد الحَفْصيّ سُلْطان تونس، ليُوَجّه له بأسْرته وكُتُبه، فكان ذلك، لولا جَدُّه العاثِر الّذي حَوّل فَرْحته إلى مَأْتم. وفي هذه الحِقْبة من حَياته كان مُنْكبّاً على تَجْديد مَعارفه الإسْلامية ليستفيدَ منها فيما يُسْتَقْبَل من مناصب شرعيّة، وليُحْسن عَرْضها وتدريسَها في الرّحاب الّتي يتحرّك فيها؛ وحدَث فَجأةً حادثٌ هدّد الدَّوْلة الجركسيّة الّتي ابتدأت بالملك الظّاهر؛ فقد كانت هُناك منافسة خَفيّة لمُلْكه من اليَلبغاويّة: يَلْبُغا النّاصريّ نائب حَلَب، ومَنْطاش، ومن يَقِف وراءهما، فاعْتقلوا الظّاهر بَرْقوق في الكَرك، وجَمعوا القضاة للإفْتاء في أمره؛ وكان ذلك في شوّال سنة 791هـ (سبتمبر 1389م)، وقد أشار ابن خَلْدون إلى هذه الحادثة التي أثّرت في حياته وخاف عواقبَها، إشارةً مريرةً عابرةً تكظم وراءها تفاصيلَ كثيرةً تجاوزها عامِداً، ملْتمساً للنّسيان. وتبدأ مِحْنتُه الّتي استمرّت تُلاحِقه أعواماً بالمجْلس الذي عَقده مَنْطاش في القَصْر الأبلق بقلْعة الجبَل، وأحْضر فيه الخليفةَ العبّاسيّ محمد المتوكّل، والقضاةَ الأَرْبعة وهو أَحَدُهم، وشيخَ الإسْلام سراجَ الدّين عمر البلقينيّ، وسألهم[2] عن رأيهم في :

- رجلٍ خلَع الخليفةَ وسجنه وقيّده من غيْر موجب لذلك .
- قتَل شريفاً في الشّهر الحرام في البلد الحرام .

[1] التعريف 322 .

[2] حادث تفاصيل هذا المجلس عند ابن إياس : بدائع الزهور 1: 282 .

* استحلّ أخذَ أمْوال النّاس بغيْر حقّ .
* استعان بالكفّار على قِتال المُسْلمين .

فطلب القضاةُ أن يكتب شيخُ الإسلام رأيَه قَبلهم، فكتب: إذا قامَت عليه البيّنةُ بذلك وَجب قِتاله ومُحاربته، فهو خارِجيّ. فوضعَ القُضاة خطوطَهم على الفَتْوى بجواز قِتاله.

ويذكر ابن خَلْدون[1] أن الظّاهر "كان يَنْقم علينا - مَعْشر الفقهاء - فتاوى استدعاها منا مَنطاش وأُكْرِهْنا على كتابتها فكَتَبْناها، ووَرّيْنا فيها بما قدرنا عليه، ولم يَقْبل السُّلطان ذلك وعتب عليهم، وخصوصاً عليّ".

ولم يُخْفِ ابن خَلْدون ذُعْرَه ، فقد كان يَخْشى النّهاية الّتي لقيَها أخوه أبو زكريّاء يَحْيى[2] على يَدي أبي تاشفين بن أبي زيّان سنة 780هـ (1378م) ، لذلك كتب مُسْتَشفعاً ومُعْتذراً إلى صاحبه القَديم ألطُنبُغا الجوبانيّ، فأعرض عنه، ثمّ مات ، فافتقد نصيرَه الرّاعي ، ولكنّ السُّلطان فيما يَبْدو لم يقطع أسبابه، فأَبقى على بعض ما كان يخصّه به ، يقول في التّعريف[3] ، إنّه "أعاد له ما كان أجْراه من نِعْمته، فلَزِم كِسْر البَيْت ممتّعاً بالعافِية، لابساً بُرْد العُزْلة ، عاكِفاً على قِراءة العِلْم وتَدْريسه لهذا العهد، فاتح سنة 797هـ(1394م)".

(1) التعريف 341 .
(2) خبر مقتله في العبر 7 : 140
(3) نصّ آخر "التعريف" في نسخة الظاهري، ويطابق ما في طبعة بولاق 7: 462 .

وفي هذه العُزْلة وَجّه عنايتَه لإخْراج كتاب العِبر كامِلاً، فأضاف إليه من أَخْبار المشرق ما فاتَه، ولعلّه أضاف الجزءَ الخامِس الّذي أصبح الكتابُ به يمتدُّ إلى أخْبار العرب والعَجَم والبَرْبر؛ وفي هذه المرحلة كتب التعريف لأوّل مَرّة وألْحَقهُ بالكتاب. وأعدّ نسخةً خزائنيّة تامّة أنْهاها سنة 797هـ(1395م)، تأنّق في زَخْرفة فواتِحها وتَذْهيبها، وراجَعها بنَفْسه جهْدَ الطّاقَة، وأصلح في طُرَرِها ما رأى إصْلاحَه، وغيّر اسْم الكِتاب ليكونَ هديّتَه للسُّلطان، إقراراً بفَضْله عَلَيْه، وتأكيداً لولائه ووَفائه، وسمّاه "الظّاهريّ في العِبَر" أسوة ببَعْض التّقاليد السابقة علَيْه، مثل[1] القّانون المَسْعوديّ للبَيْرونيّ، والصّاحِبيّ لابن فارس، والطّبّ المنصوريّ للرّازيّ. وهذه التّسمية حسب النّصّ الموضّح لها في هذه النّسخة، هي اسمٌ جَديدٌ أطْلقَه على الكتاب؛ يقول في صيغة الإهْداء: "ودعوته بالظاهريّ... اقتداءً بمن سلف قَبْلي في نَسْب الكتاب إلى صاحب عصره من الملوك ..... فصار اسمُه الظاهريّ في العِبر .." بينما كان النّصُّ الّذي على نُسْخة تونس الأولى، والنّصّ الّذي أرسلَه لأبي فارس عَبْد العزيز نَصَّيْ إهداءِ نُسخةٍ لمكتبة كلّ من الرّجُلين.

ومع وُضوح هذه التّسمية الجديدة، فإنّ النُّسَخَ الّتي كُتبت بعد سنة 797هـ (1365م) لم تَلْتزم بها في أيّام ابن خَلْدون نَفْسه، وفي حياة الملك الظاهِر، كما نرى ذلك على نُسخة الكتاب الأول (المقدمة) الّذي كُتب سنة 799هـ (1397م) بخطّ ابن الفخّار، وعلى النُّسخة الّتي أُهْديت إلى المغرب مع بعْثَة قَطْلوبغا الخليلي، فما معنى

(1) يُذْكر من ذلك أيضاً : الزيج المأموني، الخوارز مشاهي للثعالبي، التاريخ المنصوري للحموي، الزيج الحاكمي لابن يونس، العزيزي (كتاب المسالك والممالك) للمهلبي، والنسبة للعزيز الفاطمي .

هذا؟ هل يمكن أن نفترضَ أنّ ابنَ خَلْدون أعدَّ هذه النسخةَ الخزائنيّة بتسميتها الجديدة "الظّاهريّ في العِبر"، ثم عَدَل عن تقْديمها لسبب ما، وغارت النيّة في نَفْسه، ولم يُخْرِج الكتابَ على تلك الهيئة، ثمّ نراهُ لم يُشِرْ إلى هذا الحدَث المهمّ في حياته الفكريّة والسياسيّة في "التّعريف"، مع أنّه حام حَوْل تلك الحِقْبة بحديث مُقْتضبٍ مُحاذِر، يُبْطن أكثر ممّا يُعْلن، وفي أعماقه حديثُ نَفْس مكلومةٍ متوجّسة، فلم يُسجّل حَدثَ تقديم الكتاب كما حَفَل بذلك في تقْديم النّسخة الأولى الّتي أهْداها لخزانة أبي العبّاس أحمد الحَفْصيّ في يوم مَشهود؛ ولم يذكر معاصِروه من المؤرّخين شَيْئاً عن هذا الموضوع.

لهذا فقد تكون فكرة إعْداد "الظاهريّ" مجرّد مَشْروع لصاحِبه لم يَمْض به إلى مراحله الأخيرة بعد الإعْداد. وبعد أن راجعَ كتابَه واسْتكمله وجَمّع أَوْصالَه في وحْدةٍ شكّلت صورةَ النّسخة الحديثة؛ ويرجّح هذا التصوّر عندي أنَّ المؤلف ترك في هذا المخطوط فراغَيْن مهمّين كان عليه أن تكتمل بهما هديّته للسلطان، وهما خريطة الجَغْرافيا، ودائرة أرسطو الحكميّة. وتداول النُّسّاخ بعد ذلك نَسْخ الكتاب مُتكامِلاً مستوفى، ونَوّهَ المؤرّخون بأجزائه السّبعة الضخمة، على حين كان في أول إقامته بالقَاهرة موجّهاً اهتمامَه إلى تَدْريس الفقه والأصول ومُقدّمة العبر.

وبالإضافة للطّابع الرّسميّ الّذي أُعدّت به هذه النُّسخة وأخذَت شكْلها الخزائنيّ باسْم سُلطان مصر، وهذا وَحْده كافٍ لتأكيد نِسبتها إلى مُؤلّفها، فإنّ تدخّلات المُؤلّف بقلمه جاءت - كالعادة - مُوزّعة على بعض هَوامِش صفحاتها،

لتُوَثّق نسبتَها لصاحِبِها، وتسمح بالمقارنة مع الخُطوط المُشابهة على حَواشي نُسَخ أجزاء العِبَر الّتي باشر ابْن خَلْدون مُراجعَتَها.

وقد دخلت نسخةُ الظّاهريّ - في تاريخ نجهلُه - في ملكيّة رجل يَبْدو من خلال أناقة تَوْقيعه أنّه من أهْل العِلْم وجامِعِي نوادر الكُتب، فقد كتب على صدر النّسخة قبل الفِهْرس الّذي يتقدّم النّص، اسْمَه، ثم مرّة أخرى بأعْلى الصّفحة الخزائنيّة للجُزْء الأول، يقول:" الله حَسْبي، مِن كُتُب أبي بكر بن رُسْتم بن أحمد ابن محمود الشّرْوانيّ[1]"، ولم يتكرر ذلك على بقية مجلدات الكتاب؛ فهل اكتفى بهذا التوقيع المهذّب لإثبات ملكيّته لكامل النسخة، أم أنّ الكتاب الأول [المقدمة] بجزأيْه هو كلّ ما وَقَع له منها.

ونَجد النّسخة كاملةً بأجزائها الأربعة عشر قد أصبحت في إستانبول، موزّعةً بين مكتبتَيْن: الكتاب الأول [المقدمة] بجزأيه في خزانة الدّاماد[2] إبراهيم باشا، بالمكتبة السّليمانيّة، ورقمها 863. والمجلدات الستّ التّالية وتشمل على اثْني عشر جزءاً ، محفوظة في مكتبة السّلطان أحمد الثّالث بطوبقبو سراي، ورقمها المشترك 2924 (3- 4) (5- 6) (7- 8) (9- 10) (11- 12) (13- 14+ التعريف).

(1) أديب من رجال الدولة العثمانية، لعله أقام أو تَرَدّدَ على مصر. له شرح على المجلّد الأوّل من "تجزية الأمصار وتزجية الأعصار" لوَصّاف الحضرة، سمّاه: "ما لا بد منه للأديب من المشهور والغريب"توفي سنة 1135هـ/ 1722م. (البغدادي: هدية العارفين 1: 241، إسماعيل باشا: إيضاح المكنون 2: 420، حاجي خليفة: كشف الظنون 1: 309) ونسبته إلى شَرْوان، من نواحي باب الأبواب "الدّرْبَنْد" كما يسمّيه الفرس. (معجم البلدان 3: 339) وعلى نسخة "آيا صوفيا" "للتعريف" خَطّه بالتّملّك.

(2) الصدر الأعظم (1660- 1730م) عمل مبكراً في الإدارة العثمانية، فاشتغل في محاسبة الحرمين، وتحرير أراضي جزيرة الموره، وقائمقام الصدارة برتبة وزير، وصاهر السلطان فأصبح داماد، ثم قتل في 30 أيلول 1730م، وكان شاعراً وخطاطاً ، وله أعمال خيريّة ومؤسّسات ثقافية مهمّة. Meydan Larousse, V, p.3 Istanbul, 1993

فهل دخلت النُّسخة مجموعةً كاملةً لمكتبة السّلطان أحمد الثالث، ثمّ استعار صِهْرُه إبراهيم باشا الكتاب الأول (المقدّمة) وبقيت في كُتُبه بعد موته. وخُتِم عليه خَتْم الوَقْف على مكتبته[1].

هذا وبآخر الجزء الأول من الكتاب الأول (الورقة 235):

" كمل النّصف الأول من المقدّمة ، وبكماله كَمُل السِّفْر الأول من كتاب الظّاهريّ في العِبَر، بأخبار العَرب والعَجَم والبَـرْبر، يتلوه الجزء الثّاني، الفصل الرابع من الكتاب الأوّل، في البلدان والأَمْصار والمدُنُ وسائر العُمْران الحضريّ، إلى آخر المقدمة، والله وليّ الإمْداد والعون".

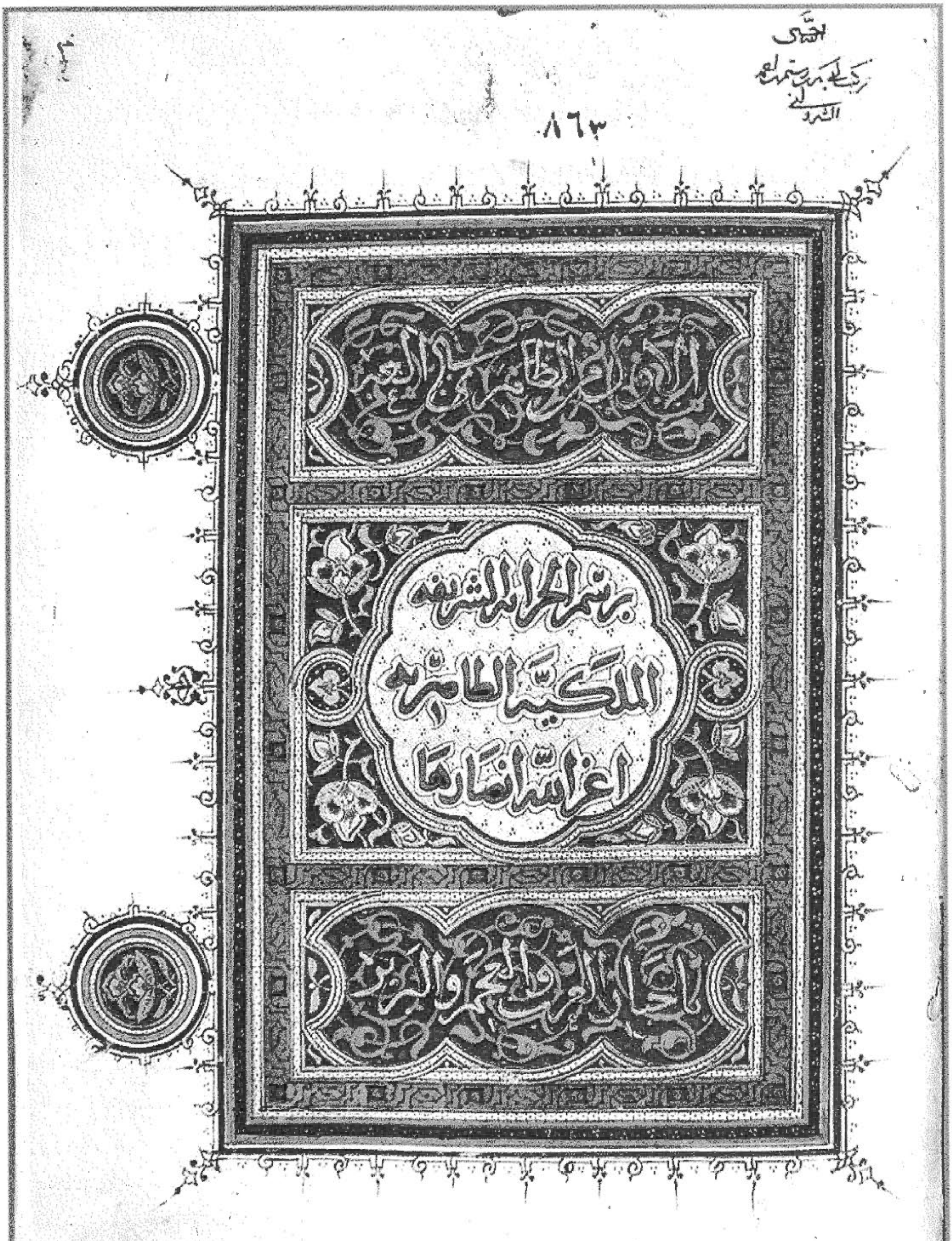
ويبدأ الجزء الثاني بالورقة 238 ، يتقدمها فهرسها في ثلاث صحائف، وينتهي بظهر الورقة 435، وفيه بعد خاتمته المألوفة التي احتفظ بها في جميع النسخ :

" كمل الجزء الثّاني من كتاب الظّاهريّ في العِبَر، بأخبار العرب والعَجَم والبَـربر، وبكماله كَمُلَت المقدّمة العلميّة المذكورة في أوّله، يتْلوه في الجُزْء الثّالث الكتاب الثاني في أَخْبار العَرَب وأَجْيالهم ودُوَلهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العَهْد، وأخبار مُعاصِريهم من أُمم العَجَم . والحمد لله حقَّ حَمْده ، وصلواته على سيّدنا ومولانا محمد نَبيّه وعَبْده، وعلى آله وصحبه وسلامُه".

[1] ختم دائري كبير به : "هذا ممّا وقفه بأخلص النيّات ، صاحب الخيرات والحسنات، الصّدر الأعظم، والصهر الأفخم، إبراهيم باشا، يسّر الله له بالخير ما يشا، وزير الحضرت السلطان الغازي أحمد خان، خلّدت خلافته إلى انقراض الدوران".

ونشير إلى أنّ النّسخة المشهورة بالنسخة الفارسيّة الّتي كتبها ابنُ الفخّار النّاسخ الخاصّ لابن خَلْدون سنة 799هـ (1396م) وأتحف بها - كما عبّر - خزانةَ السّلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحَسن[1] المرينيّ، هي نسخةٌ طبقَ الأصْل عن مخطوط الظّاهري، كما تؤكّد المقارَنة بَيْنه وبين طَبْعة بولاق التي اعتمدت أصلاً منتسخاً عَنْها .

[1] تذكر النسخ المطبوعة من التاريخ [الكتاب الأول] نصّ الإهداء في مقدّمتها إلى خزانة أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز ابن السّلطان أبي الحسن المرينيّ، وهذا الأمير توفي سنة 774هـ قبل أن يبدأ ابن خلدون كتابة العِبَر. والصواب أن الإهداء كان باسم أبي فارس عبد العزيز بن أبي العبّاس أحمد ابن أبي سالم إبراهيم، ابن أبي الحسن. وانجرّ هذا الخطأ من فساد النسخة المعتمدة في الطّبع ، التي أسقطت آباء أبي فارس إلى أبي الحسن. وقد وقع في هذا السّلاوي في الاستقصا، وشيخنا الجليل خير الدين الزركلي في الأعلام 4: 23 .



• الإذهاب الكبير ، الجزء الأول من فواتح الظاهري "ظ"

وبحكم شكايمهم عن ان يسموا الى مشاركته في الحكم وتقرع عصبهم
عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر
ناقة ولا جملا فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته فيه
وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا للثاني او للثالث
على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه في الدول
سنة الله في عباده م فصل

في ان من طبيعة الملك الترف

وذلك ان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدي اهل الملك قبلها
كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش
وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم
في عوائدهم واحوالهم وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها
وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش
والانية ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الامم في اكل
الطيب ولبس الانيق وركوب الفاره ويناغي خلفهم في ذلك
سلفهم الى اخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم
فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها
وعوائد من قبلها سنة الله في خلقه فصل

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

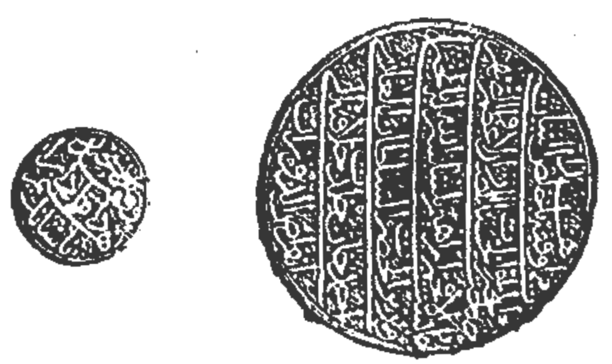
وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها
الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصروا عن الذي كانوا يتكلفونه في طلبه

• صفحة من أول "الظاهري"

بين مراتب السيف والقلم ٥ في شارات الملك الخاصة به من الالة
والسرير والسكة والخاتم والطراز والفساطيط والسياج
والمقصورة للصلوة والدعا في الخطبة ٥ في الحروب وترتيبها
عند الامم ٥ في الجباية وسبب وفورها ونقصها ٥ في ضرب
المكوس اواخر الدولة ٥ في ان تجارة السلطان مضرة بالرعايا
مفسدة للجباية ٥ في ان ثروة السلطان وحاشيته انما
تكون وسط الدولة ٥ في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية
في ان الظلم موذن بخراب العمران ٥ في الحجاب كيف يقع
في الدول وانه تعظم عند الهرم ٥ في انقسام الدولة بدولتين
في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع ٥ في كيفية طروق الخلل للدول
في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة
بالمطاولة لا بالمناجزة ٥ في وفور العمران اواخر الدول وكثرة
الموتان والمجاعات ٥ في ان العمران البشري لا بد لها من سياسة
ينتظم بها امره ٥ في امر الفاطمي واختلاف الناس في شانه ٥
في حدثان الدول والملاحم والجفر ٥



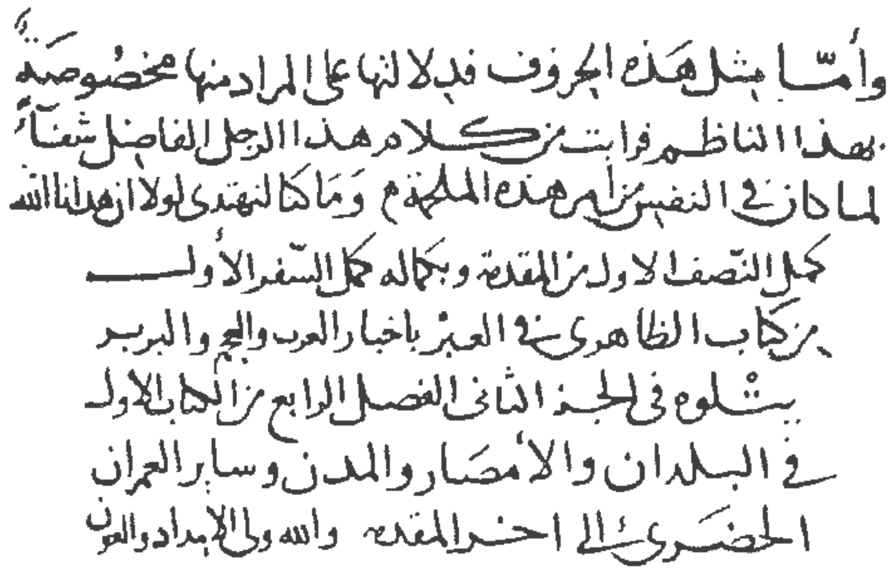
• آخر الفهرس الّذي يتقدّم الجزء الأوّل من مخطوط "الظّاهريّ"، وختْم الداماد إبراهيم باشا

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة
وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب
والكسب والمعاش والعلوم والصنايع
ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشا عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنايع وساير ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فمنها التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لراي او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فيقع في قبول الكذب ونقله ومن الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والجرح ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ومنها توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقايع لاجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما راها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه

المخطوط "ظ" نموذج خط القسم الأول



وأما مثل هذه الحروف فيدل أنها على المراد منها مخصوصة
بهذا الناظم فرأيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء
لما كان في النفس من أمر هذه الملحمة وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
كمل النصف الأول من المقدمة وبكماله كمل السفر الأول
من كتاب الظاهري في العبر بأخبار العرب والعجم والبربر
يتلوه في الجزء الثاني الفصل الرابع من الكتاب الأول
في البلدان والأمصار والمدن وسائر العمران
الحضري إلى آخر المقدمة والله ولي الإمداد والعون

● المخطوط "ظ" آخر النصّف الأوّل من الكتاب الأوّل

[illegible]

تحقيق ونكتة: علم السيمياء كما تحقق لك إنما ضرب من السحر يحصل برياضات شرعية خاصة، وذلك أنا قدمنا لك أن التصرف في عالم الطبيعة لصنفين من البشر هما الأنبياء بالقوة الإلهية التي فطرهم الله عليها، والسحرة بالقوة النفسانية التي جبلوا عليها، وقد يحصل للأولياء تصرف بالكلمة الإيمانية وهو من نتائج التجريد والعبادة ولا يقصدون تحصيله، وإنما يأتيهم عفواً، والمتمكنون منهم إذا عرض لهم أعرضوا عنه واستعاذوا بالله منه، كما يحكى عن أبي يزيد أنه وافى شاطئ دجلة عشاءً متحيراً فالتقى له طرفا الوادي، فاستعاذ بالله وقال لا أبيع حظي من الله بدانق، وركب السفينة مع الملاحين. وأما السحر فلا بد في الجبلي منه من الرياضة لتخرج من القوة إلى الفعل، وقد يحصل ضرب منه بالاكتساب وهو دون الأول فتقع له الرياضة كما تقع في الأول، وهذه الرياضة السحرية معروفة، وقد ذكر أنواعها مسلمة المجريطي في كتاب الغاية، وجابر بن حيان في بعض رسائله وغيرهما، وقد يستعملها كثير ممن يقصد اكتساب السحر وتعلمه على قوانينها وشروطها، وكثير من الناس يقصد الحصول على التصرف ويتحرج من ملابسة السحر فيتخذ لذلك رياضة خاصة شرعية من تسبيحات وأذكار مناسبة للرياضة السحرية بنوع التوجه وجنس الكلمات وتخير الطوالع وتجافياً عن قصد الغير في وجهته ليبعد بذلك عن السحر ويسمي له ذلك، ونفس الوجهة لقصد التصرف هي عين السحر مع أن رياضة هؤلاء إذا تأملتها تبعث رياضة السحر من جنسها كما تراه في أعمال البوني وفي سائر كتبه. وأما إن كان غالطاً في مشروعية ذلك لحصول التصرف فليحذر ذلك، وليعلم أن التصرف من أصله غير مشروع وأن أكابر الأولياء مجانبون له، ومن ارتكبه منهم فإنما ارتكبه بإذن من إلهام أو حديث بعثر أو غير ذلك على ما عليه عادتهم في الاستناد من قلوبهم المنورة، مع أن تصرف الأولياء بالكلمة الإيمانية لا بالقوة النفسانية. هذا موضع تحقيق علم السيميا وهو كما تراه من نوع السحر وضروبه، والله الهادي إلى الحق بمنّه.

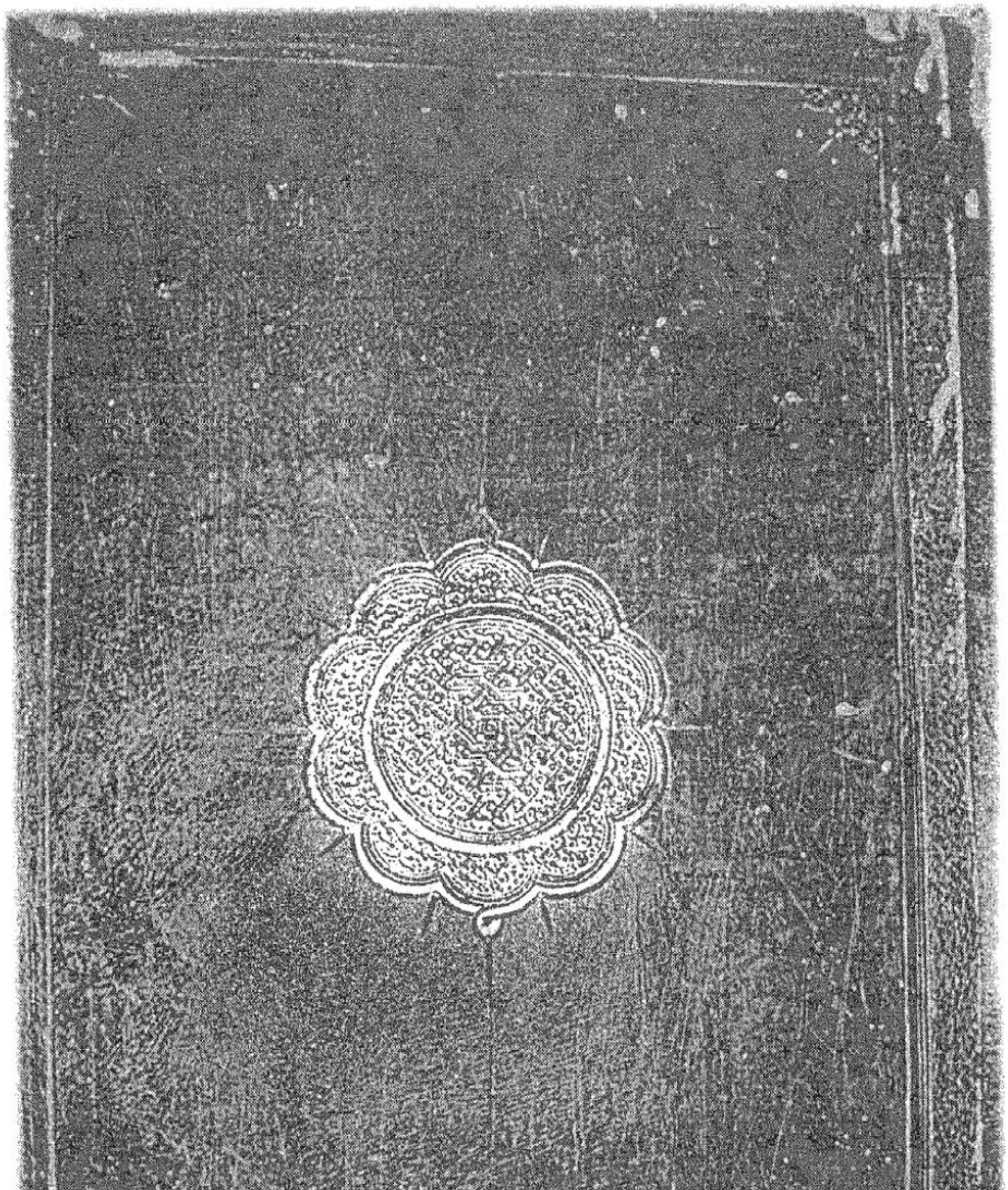
• الظّاهري — إضافة بخطّه

لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير له ذلك خلقا ويتعود
الصدق ويلازمه مذهبا ومن احسن التواليف المبسوطة فيها لهذا العهد
بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولابن البنا المراكشي فيه تلخيص ضابط
لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق
على المبتدي بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر
ادركنا المشيخة تعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاءه الاستغلاق
من طريق البرهان شان علوم التعاليم لان مسايلها واعمالها واضحة كلها
واذا قصد شرحها فانما هو اعطا العلل في تلك الاعمال وفي ذلك من
العسر على الفهم ما لا يوجد في [اعمال] المسايل فتامله والله يهدي بنوره من
يشا ومن فروعه الجبر والمقابلة وهي صناعة يستخرج بها العدد
المجهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك
فاصطلحوا فيها على ان جعلوا المجهولات مراتب من طريق التضعيف
بالضرب اولها العدد لانه به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من
نسبة المجهول اليه وثانيها الشي لان كل مجهول فهو من حيث ابهامه
شي وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها
المال وهو مربع مبهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الاس في المضروبين
ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فتخرج الى معادلة من هذه الاجناس
فيقابلون بعضها ببعض ويجبرون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحا
ويحطون المراتب الى اقل الاسوس ان امكن حتى يصير الى الثلاثة التي
عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشي والمال فان كانت
المعادلة بين واحد وواحد تعين فالمال والجذر يزول ابهامه
بمعادلة العدد ويتعين والمال ان عادل الجذور يتعين بعدتها

[حاشية:]
وما وقف عليه للمؤلف رحمه الله
نقد اصحاب لابن ...
كتاب الكامل الاخير ... اصطلاح
... ما ...
... على ...
الحروف ...
العبارة ... ثم
مستغلقة

[حاشية:]
بين مختلفين او اكثر

• المخطوط "ظ" حاشية بخط المؤلف



* العنصر الزّخرفي المضغوط على تجليد مخطوط الظّاهري "ظ"

4 ❁ مخطوط حالَتْ أفندي (ل)
المكتبة السليمانية، رقم 617

توجد هذه النسخة في المكتبة السّليمانية بإستانبول، ضمن مجموعة حَالَتْ أفندي[1]، وتُمثّل نصف المقدّمة ، والبقيّة المُتّصلة بها حديثةُ الخطّ لا قيمه لها. ورقُها قُطْنيّ سميك جيّد السّقي (شاميّ). وأبعاد النّسخة 5 و18 x 7و26سم، مسطرة 21 سطراً، والمساحة المكتوبة 5و 13x 5و18، وبها 235 ورقة

والكراس الأخير من الورقة 228 إلى الآخر نالت منه رطوبةٌ متفشّية.

آخر هذا الجزء الأول: "وأمّا مثل هذه الحُروف فدلالتُها على المراد منها مخصوصة بهذا النّاظم. فرأيتُ من كلام هذا الرّجل الفاضل شفاءَ لما كان في النّفْس من أَمْر هذه المَلْحمة. ﴿وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله﴾ [سورة الأعراف، الآية 43].

(1) هو محمد سعيد الّذي اشتهر باسم حالَتْ أفندي، من رجال الدّولة العثمانية (1760- 1822م) تمرّس في وظائف شتّى، وسَفر للدولة في باريس سنة 1803، وأصبح رئيس مستشاري السلطان ، وكان مولويّا ومناصراً للإنكشارية . ومات مقتولاً.
أسس مكتبته سنة 1820م، وفيها من المخطوطات العربية 451 مخطوطاً. ترجمته في Islam Ansiklopedisi XV, 247, Istanbul, 1997.

وهذا مُتطابق مع الوَقْف الّذي انتهى إليه تقْسيم الجزء الأول من الظّاهري، وهو آخر فَصْل "حَدثان الدّول والأُمَم، وفيه الكلام على الملاحِم والكَشْف عن مُسمّى الجَفْر".

وعلى الصّفحة الأولى - وليسَتْ من وَرَق الأَصْل - كُتِب بخطّ التعليق اسم المقدّمَة، وتحتها: صُحّح بيد المؤلّف، ثم ترجمةُ ابن خَلْدون مُقْتطَعَة من نَفْح الطيب[1]، وأُخْرى من حُسْن المُحاضرة، ثم تملُّكان، الأول: "من كُتب الفَقير إليه تعالى أحمد عفا الله عنه وعن أَسْلافه وأَخْلافه سنة 1127هـ" (1715م).

والثّاني: "الله حَسْبي وبه ثقتي، من كتب العَبْد الفقير عليمير عزّت عفى الله عنه وعن أَسْلافه".

وفي الصفحة التالية:"مَلَكه محمّد بن محمد القوصونيّ[2] سنة 953هـ" (1546م).

يليه الفهرس الملخّص لمحتوى الكتاب في ورقتَيْن ، ويتوقّف بحسَب ما يَشْتمل عليه الجزء كما وَرَد في الظّاهري، ولا يتعدّاه إلى ما في الجُزْء الثّاني كما جاء في نُسخة عاطف مصطفى.

وخطّ النّسخة نَسْخي جميل، متأنّي، وجاءت فيه أكثرُ الأَسْماء والكَلِمات الملْتبِسة مَشْكولةً بالحَركات، الّتي رُبّما جاءَتْ من ضَبْط ابن خَلْدون نَفْسه.

(1) نفح الطيب 7 : 106 .

(2) وهو من العلماء، يذكر المقري أنّه رأى خطّه على نُسْخة الإحاطة لابن الخطيب التي أوقفها على أهل العلم بمصر وجعل مقرها خانقاه سعيد السعداء، رآه إلى جانب خُطوط المقريزي والسّيوطي وعلي الحموي، وقد كتب: "انتقى منه داعياً لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة".

وسقطَتْ بعضُ الوَرَقات، واسْتُدْرِكت بخطّ تَعْليق مَضْغوط، وذلك في الوَرَقتيْن 6، 7 ونصف صفحة الوَرقة 8 .

وقد تُرِك بياض لدائرة أَرسطو الحِكْمية (26 أ) وللجَغْرافيا (35ب) . والنسخة مُكَرّسة كراريس عَشْريّة الوَرَقات، وكُتب في الزّاوية العُلْيا للصّفْحة الأُولى من كلّ كرّاسة رقْمُها بالحروف وتَلْخيص مُحْتواها.

وبأعلى الصفحة الأخير خَتْم بَيْضاوي كبير بالتركية، يظهر فيه اسْم حالت وتاريخ هِجْريّ غير واضح (لعله 1227هـ).

وآخر النّسخة : "تم الجُزْء الأوّل من كتاب العبر، في أخْبار العَرَب والعَجَم والبربر، يتلوه الجُزْء الثّانيّ، الفصل الرّابع من الكِتاب الأول".

وتميّز هذه القِطْعة من العِبر [نصف الكتاب الأول] إلى جانب ضَبْط الأَسماء، بأنّها نقَلت من مخطوط عاطف زيادات وتَصْحيحات زيدت بعد نَقْل نُسْخَة الظّاهريّ فدلّت على أنّها أَحْدثُ منها تاريخاً كما نبّهنا على ذلك في مَواقِعه من فُروق النُّسخ. والتزمَتْ طريقة رَسْم الحُروف الّتي ليس لها مقابلٌ في الحَرْف العَربيّ على ما قرّره ابنُ خَلْدون في أوّل المُقدّمة .

وناسخُ هذه النُّسخة غَيْر معروف، لكنّا وَجدْنا بخطّه بعضَ أَجْزاء العِبر، من ذلك قطعة الجُزْء المحفوظ في المَتْحف البريطاني رقم Add 23272 ، ومسطرتُها 25 سطراً، على غير ما عليه هذا الجزء ممّا يعني أنَّ النّاسخ كتب لابن خَلْدون أَكْثر من نُسْخة.

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وصلى الله على سيدنا محمد واله

قال سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى الامام
العالم العلامة شيخ الاسلام بركة الانام قاضي قضاة المسلمين
ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون نفعنا الله تعالى به

الحمد لله الذي له العزة والجبروت وبيده الملك والملكوت وله
الاسماء الحسنى والنعوت العالم فلا يعزب عنه ما يبديه النطق او
تخفيه السكوت القادر فلا يعجزه شيء في السموات والارض ولا يفوت
انشانا من الارض نسما واستعمرنا فيها اجيالا وامما ويسر لنا منها ارزاقا وقسما
تكنفنا الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت
وتتعاورنا الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت وله البقاء والثبوت
وهو الحي الذي لا يموت والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي
المكتوب في التوراة والانجيل المنعوت الذي تمخض لفصاله الكون قبل ان
تتعاقب الاحاد والسبوت ويتباين زحل والبهموت وشهد بصدقه
الحمام والعنكبوت وعلى اله واصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الاثر البعيد
والصيت والشمل الجميع في مظاهرته ولعدوهم الشمل الشتيت
صلى الله عليه وعليهم ما اتصل للاسلام جده المبخوت وانقطع بالكفر
حبله المبتوت وسلم كثيرا اما بعد فان فن التاريخ من
الفنون التي تتداوله الامم والاجيال وتشد اليه الركايب والرحال
وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال
وتتساوى

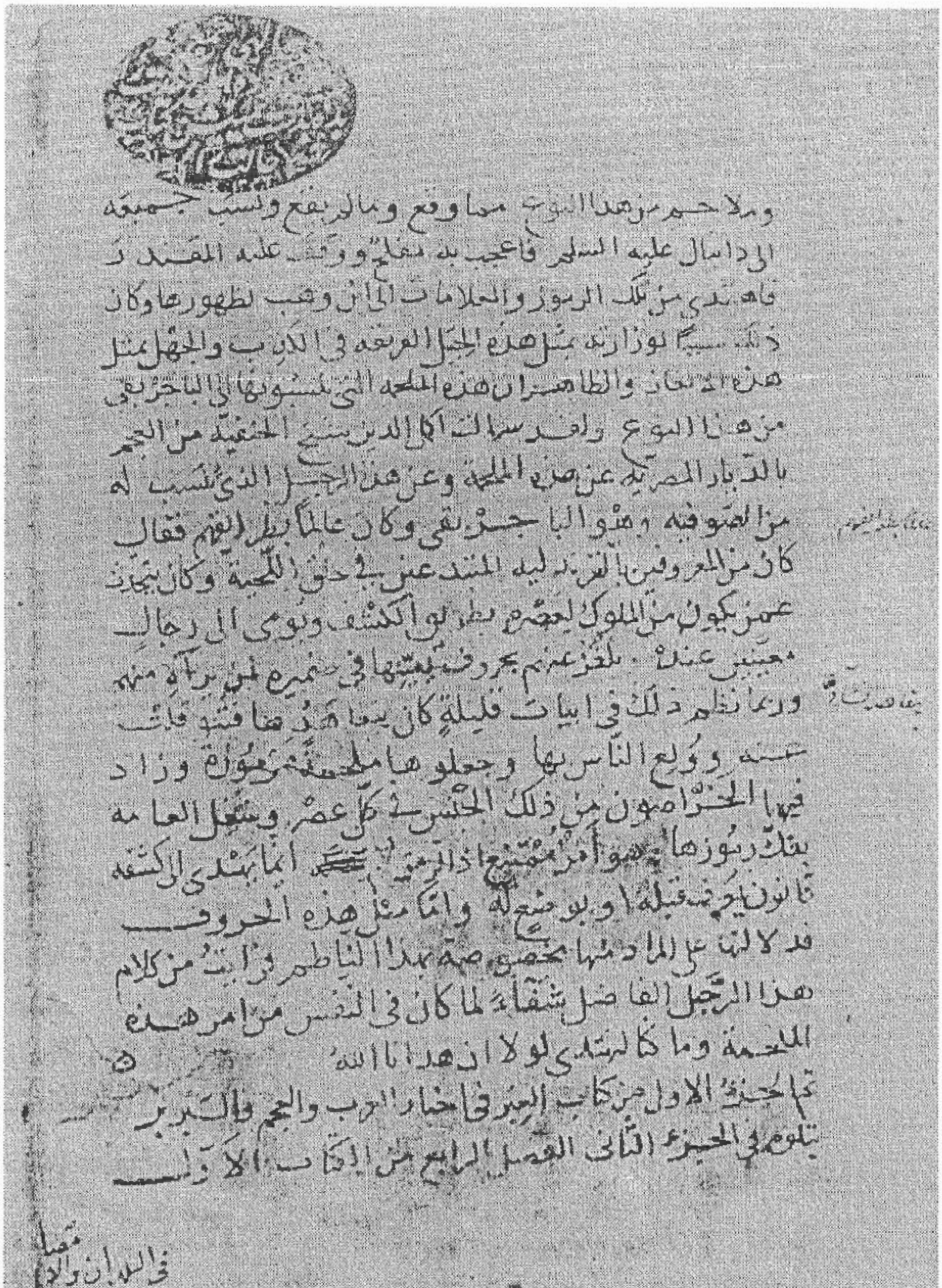
* المخطوط "ل" - مستهل النص

افريقية وبه سميت وقتل ملكها جرجير وسمي البربر بهذا الاسم كما ذكرناه
فقال واقام في البربر من حمير صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم انتهى ٥
وتشعبوا في المغرب وانتشروا في نواحيه الى الان جمهورهم كانوا لاول الملة بعد حرب
الردة وطيحة تلك الفتن موطنين بارياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى
جبل اوراس من ناحية القبلة وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة اكثرها لهم ومن
ديارهم ومجالات تقلبهم مثل ايكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وبلزمة
وتيجست وميلة وقسنطينة والسكيكدة والقل وجيجل من حدود
جبل اوراس الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة وكانت بطونهم كثيرة يجمعها كلها غرسن
ويسودة ابنا كتم بن برنس فمن يسودة فلاسة ودنهاجة ومتوسة
وورتسن كلهم بنو يسودة بن كتم والى دنهاجة ينسب قصر كتامة بالمغرب
لهذا العهد ومن غرسن مصالة وقلدن وماوطن ومعاد بنو غرسن بن كتم
ولهيصة وجيملة ومتالتة بنو يناوة ابن غرسن ولطاية
وإجانة وغسمان وأوفاس بنو ينطاسن ابن غرسن وملوسة من
أيان بن غرسن ومن ملوسة هولاء بنو زلدوي اهل الجبل المطل على
قسنطينة لهذا العهد ويعد البرابرة من كتامة بني يستيتن وهشتيوة ٥
ومتالتة وبني فنيسلة وعد ابن حزم منهم زواوة بجميع بطونهم وهو
الحق على ما تقدم وكان من هذه البطون بالمغرب الاقصى كثير متبدون عن
مواطنهم وهم بها الى اليوم ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هذه الحالة من لدن ظهور
الملة وملك العرب الى دولة الاغالبة ولم تكن الدول تسومهم بهضيمة ولا ينالهم
بعسف لاعتزازهم عليها بكثرة جموعهم كما ذكره ابن الرقيق في تاريخه الى ان كان
من قيامهم بدعوة الشيعة ما ذكرناه في دولتهم عند ذكر دول الفاطميين اثر
دولة بني العباس فانظره هنالك وتصفحه تجد تفصيله ولما صار لهم الملك
بالمغرب زحفوا الى المشرق فملكوا الاسكندرية ومصر والشام واختطوا
القاهرة اعظم الامصار بمصر وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة
على قبائلهم واستغلظت الدولة هنالك وهلكوا في ترفها وبذخها وبقي في مواطنهم الاولى

* المخطوط "ل" - صفحة يبدو فيها ضبط الأسماء البربرية بالشكل

المسند يغني أمام الموكب بالشعر ويطرب فيجيش همم الأبطال
بما فيها ويتسارعون الى مجال الحروب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك
زناته من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف
ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ١٧٦
ويسمون ذلك الغناء تاصوكايت واصله كله فرح يحدث في
النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث
عنها من الفرح والله اعلم واما تكثير الرايات وتلوينها واطالتها
فالقصد به التهويل لا اكثر وربما يحدث في النفوس من التهويل زيادة
في الاقدام واحوال النفوس وتلوناتها غريبة والله الخلاق العليم
ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات
فمن مكثر ومقلل بحسب اتساع الدولة وعظمها فاما الرايات
فانها شعار الحروب من عهد الخليقة ولم تزل الامم تعقدها
في مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي صلى الله عليه وسلم
ومن بعده من الخلفاء واما قرع الطبول والنفخ في الابواق فكان
المسلمون لاول الملة متجافين عنه تنزها عن غلظة الملك ورفضا
لاحواله واحتقارا لابهته التي ليست من الحق في شيء حتى اذا انقلبت
الخلافة ملكا وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها ولابسهم الموالي
من الفرس والروم اهل الدول السالفة واروهم ما كان اولئك
ينتحلونه من مذاهب البذخ والترف فكان مما استحسنوه
اتخاذ الالة فاتخذوها واذنوا لعمالهم في اتخاذها تنويها بالملك
واهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر او قائد الجيش يعقد له

• المخطوط "ل"



ولا حصر من هذا النوع مما وقع وما لم يقع ونسب جميعه
الى دانيال عليه السلام فاعجب به مقالة ووقف عليه المقتدر
فاهتدى من تلك الرموز والعلامات الى ان وثب لظهورها وكان
ذلك سببا لوزارته بمثل هذه الحيل القريبة في الكذب والجهل بمثل
هذه الاغلاط والظاهر ان هذه الملحمة التي ينسبونها الى الباجربقي
من هذا النوع ولقد سألت اكمل الدين شيخ الحنفية من العجم
بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب له
من الصوفية وهو الباجربقي وكان عالما بطرائقهم فقال
كان من القرندلية المبتدعة في حلق اللحية وكان يتحدث
عمن يكون من الملوك لعصره بطريق الكشف ويومي الى رجال
معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم
وربما نظم ذلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقلت
عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد
فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة
بفك رموزها وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهتدي الى كشفه
قانون يعرف قبله او يوضع له وانما مثل هذه الحروف
تدل عليها عن المراد منها مخصوصة بهذا الناظم فرأيت من كلام
هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من امر هذه
الملحمة وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
تم الجزء الاول من كتاب العبر في اخبار العرب والعجم والبربر
يتلوه في الجزء الثاني الفصل الرابع من الكتاب الاول

* المخطوط "ل" خاتمة القسم الأوّل من الكتاب الأوّل

5● مخطوط يني جامع[1] (ج)
المكتبة السليمانية رقم 888

هذه أحدث نسخة خرجت عن نسخة عاطف مصطفى تحمل تاريخ نسخها سنة 799 هـ/ (1397م) . أوراقها 273 ورقة، وأبعادها 21 x 31 سم ، والمساحة المكتوبة 16x 24سم - مسطرة 29 سطراً

على صدر[2] النسخة بخط فارسي جميل حديث اسم الكتاب كاملاً، وذكر المؤلف محلّى بألقابٍ فخمة، منها: أنّه "المتقدم في الفنون العقلية والنقليّة".

(1) أو يكي جامع كما يكتب بالعثمانية ، ومعناه الجامع الجديد، ويسمّى أيضاً والده جامعي، ويقع في إستانبول في حي Eminonu، تعثّر بناؤه بين سنوات 1597م، و 1663م لتبدّل الظروف السياسيّة، وقد أنجز حسب المخطط الذي صممه المعماري داود آغا من تلاميذ المعمار سنان، بدأتْ بنائه صفيّة سلطان، زوجة السّلطان مراد الثالث، وأمّ محمد الثالث، وأكملته خديجة سلطان والدة السّلطان محمد الخامس.(Meydan Larousse, xx, 327)

(2) يقابلها في الوجه الآخر نصّ مبتور، يسجّل كيف تحوّلت بعض سيرة ابن خلدون إلى أدب شعبي فيه مجال للتخيّل والتركيب الحكيّ. يقول: [المصنّف كان قاضياً على مَذهب مالِك بحلَب المحروسة زمن فِتْنة تَيمور، وحصل في قبضته أسيراً سميراً، فكان يُصاحِبه، إلى أن سافر معه قافلاً نحو سَمَرقند وقرارة ملكه، فقال له: يا سلطان العالِم، لي تاريخ كبير جمعت فيه الوقائع بأسرها ، خلّفْتُه بمصر، وسيَظفر به المجنون، يشير إلى الملك النّاصر بن بَرقوق، فقال له: هل يمكن تلافي هذا الأمر واستخلاص الكتاب؟ فقال له: يمكن إذا قَبِل مني السلطانُ ما أقوله. فقال له: قُلْ، فقال: يتغافل عني السّلطان] [كذا ينتهي النصّ].

ثم ترجمة لمؤلِّف الكتاب تمتدّ إلى آخر الصفحة، منقولة باختصار من إنباء الغمر وتحتها: "حَرّره الفقير إسماعيل" . وفُسِخَ بقيّة الاسم.

وبجانب اسم الكتاب: "ثم سبقت به يد القضاء والتقدير، ونظَمْته في سلْك مِلْك العَبْد الفقير، المذنب ، محمد إمام زاده"، ويليه تملّك (مُحِييَ اسمُ صاحِبه)، تاريخه أواخر ذي القعدة من سنة 984هـ (فبراير 1577م) .

ثم ختم كبير مستدير [38 ملم] به: وقف سلطان / أحمد خان بن غازي سلطان / محمد خان (ثم طغراء)1115هـ (1703م) .

وهذه النسخة تامة، تَشْتمل الكتاب الأول [المقدمة] في مجلّد واحد، كتبه بخطّ نسخٍ محقّق أنيق عبد الله بن حسن ، ابن الفخَّار، وهو ناسخ ارتبط به مبكراً وبفضل توقيعه على هذه النسخة خاصة عرفنا بالتحليل والمقارنة أنه ناسخ نسخة عاطف أفندي في زمن مبكّر، وقد كتب أكثر نسخ كُتُبِه فيما وصلنا.

فهو الذي كتب نسخة القرويّين في سَبْع مجلّدات، وكان خطّه فيها أكثر تلاحُقاً وتداخُلاً وتقْويراً والتزام بإهمال الحروف المنقوطة، وكتب نسخَة التّعريف[1] المحفوظة في خزانة السُّلطان أحمد الثالث بطوبقبو سراي رقم 3042- ، وبعض نسخة آيا صوفيا رقم 3200-

وقد خصّص ابن الفخّار خمس صفحات لكتابة فِهْرس الكتاب، مُدْخِلاً التغييرات التي سجّلها المؤلِّف على نسخة عاطف مصطفى، (1ب - 3ب).

(1) "التعريف" ، من تقديم الأستاذ محمد بن تاويت الطّنجي .

وفي بداية النصّ الخَلْدونيّ كتب البسملة والتّصلية في سطرٍ واحد، وأفسح بَعْده للمؤلِّف، كما فعل في نسخة عاطف، ليكتب بخطّه الأَندلسيّ الرّشيق.

"يقول العبد الفقيرُ إلى رحمة ربّه، الغنيّ بلُطفه وفَضْله، عبد الرّحمن بن محمد ابن خَلْدون الحضرميّ وفّقه الله تعالى وغفر له".

ويبدأ ابنُ الفَخّار بعد هذا الاستهلال كتابة الكتاب الأول بخطٍّ قويّ موحّد النّسق، لم يتغيّر فيه أسلوب استرساله إلى آخر الجزء، وعندما أتى في مقدمة الكتاب على تسميته أَقْحم بعد قوله: وسميته كتاب [عنوان] العبر، مع أنّه في هذه المرحلة الّتي نسخ فيها هذا الجزء سنة 799 هـ (1395م) كان المؤلِّف قد عدّل هذا الطباق اللّفظي في التّسمية الّتي جاءت في أوّل تاريخ التّصنيف في المَرحلة التّونسيّة.

وجاء تدخّل المؤلِّف بخطّه في تسجيل إضافة تتعلّق بالوزارة ، في صفحة 104 ب. لكن خاتمة النّسخة تضمّنت إفادات مهمّة سجّلها كاتبها في أربعة أسطر، يقول[1]: "وكتب بيده الفانية أحوجُ النّاس لرحمة ربّه، عبد الله بن حسن الشهير بابن الفخّار، حامداً الله على نِعَمه ومصلّياً ومسلّماً ومُحَسْبلاً ، ونَقَلْتُهُ من أَصْله المتوّج بخطِّ مؤلِّفه في بعض هامِشه ومُلْحقه وتخاريجه، وكتبتها جميعَها وأحاط بما كتبتُ، وقرأ في غالبه، والله المسؤولُ أن يبقيَه ويمتع ببقائه آمين ، وكتب في

(1) الورقة 273 أ .

العاشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة [9 فبراير 1397م] اللهم صلّ على سيّدنا محمد وآله وسلّم".

فقد تضمنت: اسم الناسخ، وأنّه نقله من أصله المشتمل على الهوامش والملحقات والتخاريج، ولعلّه يُشير إلى نُسْخة عاطف مصطفى نَفْسها. وأنَّ ابن خَلْدون أحاط بما كُتِب في هذه النّسخة وقرأ في غالبه. ثم تاريخ النّسْخ.

وتفيدنا هذه النسخة بفضل وضوح مَراحل صناعتها، أن ابن الفخّار هذا هو الّذي نسخ النسخة الأولى من المقدّمة إثر حُضور ابن خَلْدون إلى مصر، وأعدّ هذه النسخة سنة 799هـ، وظلَّ متابعًا لعمل المؤلّف، ومُضيفاً للزيادات المهمّة التي تطرأ على الكتاب.

فأمام الورقة 181 توجد بطاقة كبيرة بخطّ ابن الفخّار تحدّث فيها ابن خَلْدون عن مصادرات الملوك، ومنها مصادرة الملك الظّاهر برقوق لأستادَاره الأمير محمود ابن علي بن أصفر عينه، ومبلغ ما استصفى منه، وكان ذلك في 20 جمادى الأولى سنة[1] 798هـ (1 مارس 1396م)، ولا يبدو ما في هذه البطاقة أنّه سَقْطٌ مُسْتدرك، ولكنه إضافَةٌ بلَغَتْه بعد نَسْخ الكتاب، ولا توجد في الأُصول الأخرى، وتوجد ملحقات أخرى غفل عن نسخها من مَتْن الأصل، ثم اسْتَدْركها مُنْفصلة، مثل إضافة "علامات الرؤيا الصادقة" من فصل علم تعبير الرؤيا.

(1) ذكر ذلك المقريزي : السلوك 856/3/3 .

وفيه ورقة منفصلة بين الورقتين 85 - 86 عن عدم جواز عقد منصب الخلافة لاثنين معاً، كان ابن خَلْدون قد أضافها في حاشية أصله بعد تاريخ نَسْخ الجُزْء سنة 799، فأضافه ابن الفخار لنسخته نقلاً عنه.

وتخلو هذه النسخة من خَريطة الجغرافيا ومن الزّايرجة.

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صلى على سيدنا محمد وآله وصحبه

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني بلطفه وفضله
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه لسبيل رغبه له

الحمد لله الذي له العزة والجبروت . وبيده الملك والملكوت . وله الاسما
الحسنى والنعوت . العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى او يخفيه السكوت .
القادر فلا يعجزه شي في السموات والارض ولا يفوت . انشانا من الارض نسما
واستعمرنا فيها اجيالا وامما . ويسر لنا منها ارزاقا وقسما . تكنفنا الارحام
والبيوت . ويكفلنا الرزق والقوت . وتبلينا الايام والوقوت . وتتعاورنا
الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت . وله البقا والثبوت . وهو الحي الذي
لا يموت . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكتوب في
التوراة والانجيل المنعوت . الذي تمخض لفصاله الكون قبل ان تتعاقب الآحاد
والسبوت . ويتباين زحل والبهموت . وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت .
وعلى اله واصحابه الذين لهم في صحبته الاثر البعيد والصيت . والشمل الجميع في
مظاهرته ولعدوهم الشمل الشتيت . صلى الله عليه وعليهم ما اتصل للاسلام جده
المبخوت . وانقطع بالكفر حبله المبتوت . وسلم كثيرا . اما بعد
فان فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال . وتشد اليه الركائب
والرحال . وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال . وتتنافس فيه الملوك
والاقيال . ويتساوى في فهمه العلما والجهال . اذ هو في ظاهره لا يزيد
على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول . تنمو فيها الاقوال .
وتضرب فيها الامثال . وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال . وتؤدي
لنا شان الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال . واتسع للدول فيها النطاق والمجال .
وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال . وحان منهم الزوال . وفي باطنه
نظر وتحقيق . وتعليل للكائنات ومباديها دقيق . وعلم بكيفيات الوقائع
واسبابها عميق . فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق . وجدير بان يعد في علومها وخليق .
وان فحول المورخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها . وسطروها
في صفحات الدفاتر واودعوها . وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا
فيها او ابتدعوها . وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها . [illegible]
واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها . وادوها الينا كما سمعوها
ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها . ولا رفضوا ترهات

الاحاديث

* المخطوط "ج" المستهل ، والسطران 2، 3 بخط المؤلف

الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافا وانقطها
بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدل
ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجيء
في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين
حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارئ انه متوسط فينطق به كذلك فنكون
قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكنا قد صرفناه
من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنائع ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران
العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات
واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول
ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع
وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال ولما كان الكذب متطرقا
للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فمنها التشيعات للآراء والمذاهب فان
النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر
حتى تتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لرأي او نحلة قبلت ما يوافقها
من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن
الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله ومن الاسباب المقتضية
للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح
ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل
الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ومنها توهم الصدق وهو كثير
وانما يجيء في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على
الوقائع لاجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع
على غير الحق في نفسه ومنها تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب
بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على
غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها

من

* من المخطوط "ج" ، بخط ابن الفخار



يا من وصالو لأطفال المحبة نخ
كم تنحبح القلب بالهجران أوه أخ

أودعت قلبي جوجو والتصبح
كل الورى كخ في عيني وتحصلك بخ

ولغيره
نادتها وشنبي قد طوائي طحى
جودي علينا بقبله في الهوى نا نى

قالت وقد ركب دلبل فؤادكي
ما طرذا العطن بغشى من هو حجي

ولغيره
رأى أنشم سقف سحاب أدمعي برقوا
ما ط اللثام بدا بدر في شرقو

أسبل دجا الشعر تاه القلب في طرقو
رجع هذا أنا عنيط الصبح من فرقو

ولغيره
يا حادي العيس بنجر بالمطايا زجر
أقف على منزل الحبايب قبل الفجر

وصيح في حيهم يا من بدل الأجر
ينهض يصلي على ميت قبل الهجر

ومن الذي يسمونه دو بيت

قد أسهر مر احبة بالبارد
إن شعث طيفه مع الأسحار

بانار تشوقي به فانتقدي
لسلا تعساه يهتدى بالنار

ولغيره
عيني الي كست بنظركم بانات
ترعى النجوم وبالسهد اقتانت

واسهم البين صابتني ولا فانت
وسلوني اعظم الله اجركم مات

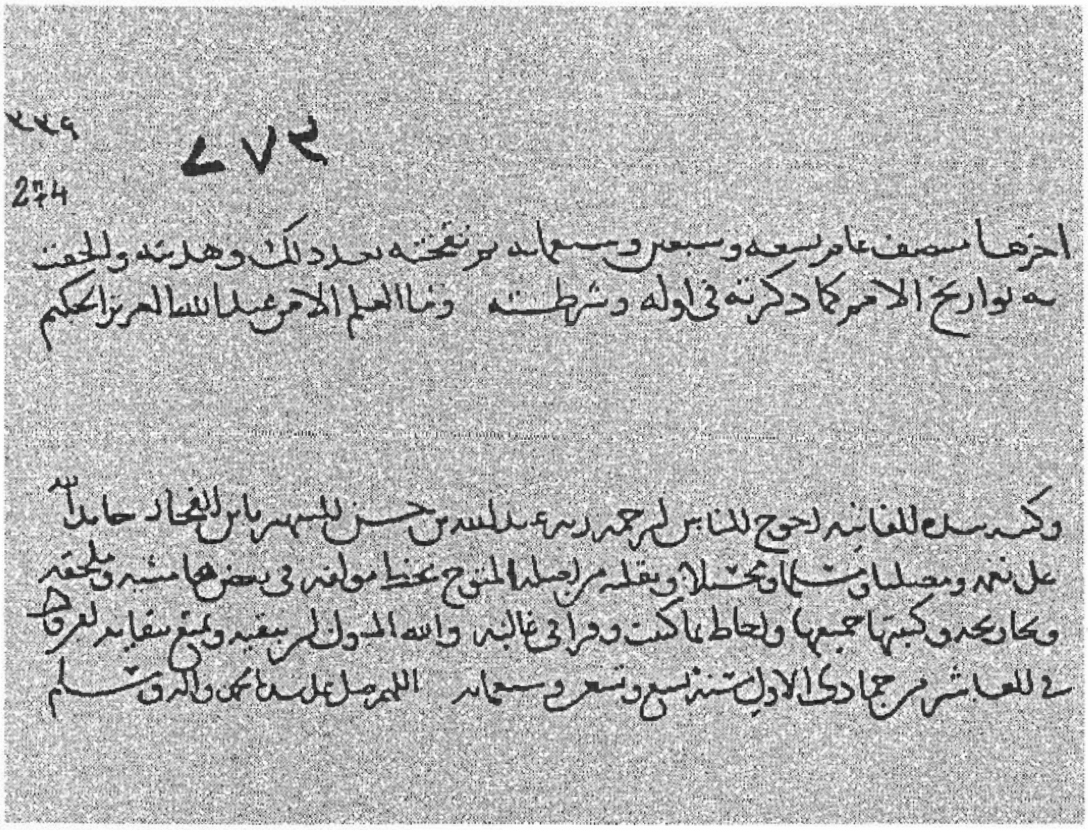
ولغيره
هوت في منظركم بامالح الحكم
غزال يسلي الأسود الضاريات بالنظر

عصرا إذا ما انثنى تسبي البنات البكر
وإذا تهلل في الليل البدر منه ودر

واعلم أن الأذواق في معرفة البلاغة منها كلها إنما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين أجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل المشرق والأندلس ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب لأن اللسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم وكل أحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل جلدته وفي خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان آيات للعالمين وقد كدنا أن نخرج عن الغرض وعزمنا أن نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الأول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاء له ولعل من يأتي من بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله على أكثر مما كتبناه فليس على مستنبط الفن إحصاء مسائله وإنما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً إلى أن يكمل ○ والله يعلم وأنتم لا تعلمون قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب في مدة خمسة أشهر

لعزها

• المخطوط "ج" - ما قبل خاتمة النسخة



274

اخرها منتصف عام تسعة وتسعين وسبعمائة ثم نقحته بعد ذلك وهذبته والحقت
به تواريخ الامم كما ذكرته في اوله وشرطته وما العلم الا من عند الله العزيز الحكيم

"وكتبه بيده الفانية، أحوج النّاس لرحمة ربّه،عبد اللّه بن حسن الشهير بابن الفخّار،حامداً اللّه على نعمه ومصلّياً ومسلّماً ومُحَسْبلاً، ونقلته من أصله المتوّج بخطّ مؤلّفه في بعض هامشه وملحقه وتخاريجه وكتبتها جميعَها وأحاط بما كتبتُ وقرأ في غالبه، واللّه المسؤول أن يبقيه ويمتع ببقائه آمين، وكتب في العاشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، اللهم صلّ على سيدنا محمّد وآله وسلم"

• خاتمة المخطوط "ج" التي كتبها ابن الفخّار سنة 799هـ، وأحاط بها ابن خلدون

أَنظارٌ

لقد أمدّتني قراءاتي المتكرّرة لتُراث ابن خلدون بإيضاحات وتساؤلات عن جوانب متعددة حول فكره في التّاريخ وفي الرجال، وفي تفسيره لإشكالات بعض مواقف التاريخ الإسلامي، وعن هُويّته، وصورته في عَصْره، وعلاقاته، وأسلوب بيانه، ولغته، ومصطلحه، ومصادره، والمواقع الحقيقية الأثريّة الّتي أقام فيها وتردّد عليها ولا تزال باقية على حالها، وما إلى ذلك ممّا نرجو أن نفرده في عمل مستقلٍ، مرتكزٍ على الشّواهد والأدلّة في قادم الأيّام.

وأقتصرُ هنا على ذكر بعض الأنظار المتّصلة بالكتاب خاصّة، لعلّ فيها بعض ما يُفيد.

1 ● تُثارُ إشكاليّةُ بأيّ الكُتُب الثّلاثة من العِبر بدأ ابنُ خَلْدون بكتابتها، ويغْلُب عند بَعْضهم أنّ المقدّمة كانت المُسْتَهَلّ، وهو المشهور عنه. وهذا لم يَقُمْ على وَثاقَة بَحْث، لأن الأمر يقتضي الاعتماد على وجود نُسخة مَطْبوعة من الكتاب، صَحيحة القِراءة، واضحة في تفاصيلها، مفكّكة بالكشّافات والفَهارس، تسمحُ متابعتُها من أن نعرف كيف استغلّ ابنُ خَلْدون الفقيهُ المفكّر جهدَ ابنَ خَلْدون المؤرّخ، وما هي علاقَةُ نصّ التّاريخ بتلك الإشارات الّتي يُلْمع لها في المقدّمة بَيْن حين وآخر،

وكيف كان سِياقُ الأحداث المنظّمَة في العِبَر وقيام الدُّوَل وحاجتها إلى العصبيّة والمَنْعة، وغير ذلك، كيف كان كلّ هذا مجالاً للتفكير والاستنتاج والمُقايَسة، والوُصول إلى حقائق يَنْتَبهُ لها بذكائه ودُرْبته على استخدام المَنْطق في اسْتِخْراج ما يصحّ اسْتخراجه، لأن كتاب العِبَر وحْدةٌ قامَتْ أوّل ما قامَتْ على تَصوُّر أوليّ واضح، تطوّر في إطارِ التّصوّر الأوّل ولم يُلْغه، وتمدّدَ في عَرْضه للأُمم والدّوَل إلى مَناطِق كانت مجهولةً لديه، ثم تعرّف عليها ونَظَمها في منظومة عَمَله. وكانت فصولُه عن الدّوَل المتعاصِرة والمُتعاقِبة متوازنةً في حَجْمها، وقد يُبثُّ فيها بَيْن حين وآخر ما ضَبَطه من نواة القَوانين الّتي فصّلها في المقدّمة؛ وهذه العلاقَة بين المقدّمة (الكتاب الأول) وكتابيْ التّاريخ التاليَيْن، لا يُتاح البَتّ فيها -كما ذكرت- قبل نَشْر كامِل الكتاب على نَهْجٍ أمينٍ مُلْتزم بتَوْثيق نَصّ المؤلّف كما كتبه.

ونلاحظ أن ابن خَلْدون يُفاجِئنا بإشاراتٍ تصنَعُ إرباكاً لدارسي نَشْأة نُصوصه وتَطَوُّرها، كتبها في أحْيان مختلفة وتصرّف فيها بالإضافة والإلْغاء في النّصّ الواحد فزادها غموضاً.

يقول في "التعريف"[1]:

1- "لحقتُ بأحياء أولاد عريف قبلةَ جبل گزول، فتلقّوني بالتحفّي والكرامة ..... وأنْزلوني بأهلي في قَلْعَة ابن سلامة من بلاد بني توجين، الّتي صارت لهم بإقطاع السّلطان، فأقمت بها أربعةَ أعوام متخلّياً عن الشّواغل كلّها،

[1] التعريف 236 ، مخطوط الظاهري (ظ) 68 ب .

وشرعتُ في تأْليف هذا الكتاب وأنا مُقيمٌ بها، وأَكْملتُ[1] المقدّمة منه على ذلك النّحو الغريب الّذي اهْتدَيْت إليه في[2] الخَلْوة، فسالَتْ فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفِكر حتّى امتخضَتْ زُبْدتُها وتألّفت نتائجُها".

ويقول[3] :

-2 "ولما نزلت قلعة ابن سلامة بَيْن أحياء أولاد عريف ...... ثم طال مُقامي هنالك وأنا *مستوْحشٌ من دولة المغرب وتلِمْسان*[4]، وعاكفٌ على تَأْليف هذا الكتاب، وقد فرَغْت من مقدّمته[5] إلى أَخْبار العَرب والبَرْبر وزَناتة، وتشوّفْت إلى مطالعة الكتب والدّواوين الّتي لا توجد إلاّ بالأَمْصار، بعد أن أَمْلَيتُ الكثيرَ من حِفْظي، وأَردتُ التّنقيحَ والتّصحيح".

وكتب عند الأَوْبة إلى تونس ومُقابلَة السّلطان أبي العبّاس أحمد الحَفْصيّ :

مخطوط الظّاهريّ	النّص الحديث، المعتمد للنّشر
797هـ/ 1394 م	وقد أنْهاه المؤلّف سنة 807هـ/ 1404م
"وقد كلّفني [أبو العبّاس] بتلْخيص كتاب في الأَخْبار، فاقتضبْت له من	"وقد كلّفني بالإكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوّقه إلى المعارف

[1] ظ: وأتيت في المقدمة منهم بذلك .
[2] ظ : في تلك .
[3] التعريف 237، الظاهري 69 ب .
[4] ما بين النجمين ساقط من ظ .
[5] ظ : من مقدمته ولم تكمل أغراضها بعد .

هذا الكتاب ملخّصاً استوعَبْت فيه أخبارَ البَرْبر وزَناتة من أَهْل المغرب، وبَعْضاً مـن أخبـار الدَّوْلتـين الأمَويّـة والعبّاسـيّة، وشـيئاً مـن أخْبـار الدُّوَل قبـل الإسـلام، ولم أسـتوْفِ ذلك ولا أخبار المَشْرق ودُوَلِهِ في العَرَب والعَجَم قبل الإسْلام وبَعْده، وإنّما استَوْعَبتُ ذلك بعد الرِّحلة إلى المَشْرق، وفي هذا الكتاب المتوّج باسْم الملك الظّاهر	والأخبار واقتناء الفضائل، فأكملت منه أخبار البربر وزناتة وكتبت من أخبار الدَّوْلَتين وما قبل الإسلام ما وصل إليّ منها، وأكملتُ منه نسخةً رفعتُها إلى خزانته.
فلما رفعت له ذلك الكتابَ أنشدْتُه"	فلما رفعت له الكتاب وتوجته باسمه، أنشدتُه"
[الظاهريّ- آخر الجزء 14، الورقة 69 ب]	[التعريف 240]

ويُقارَنُ كلُّ هذا بما ذكره في آخر نُسْخة المقدّمة، وهو النصّ المشهور الّذي حافظت عليه جميعُ النّسخ:

3- "أَتممتُ[1] هذا الجزء الأوّل بالوَضْع والتّأليف قبل التّنقيح والتّهذيب، في خمسة أشهُرٍ، آخرها منتصف عام تِسْعة وسَبْعين وسبعمائة، ثمّ نقّحْتُه بعد ذلك وهَذّبْتُه ، وألحقتُ به من تواريخ الأُمَم كما ذكرتُه في أوّله وشَرَطْته".

(1) جاءت هذه الخاتمة للكتاب الأول بآخر مخطوطة مكتبة السّلطان أحمد الثالث 297 أ رقم A 1 / 3042 ، وهي أقدم أصل نقل نسخة عاطف مصطفى رقم 1936 كما تقدّم. وهذا نص خاتمة مخطوط الظّاهريّ الّذي كُتب =

فإذا كان قد وصل قلعة ابن سلامة سنة ستّ وسبعين وسبعمائة، وتفرّغ من الشّواغل وبدأ في تأليف الكتاب، ثم كتب المقدّمة بدءاً من شَهْر صَفَر سنة تسع وسبعين وسبعمائة، وأتمّها في خَمْسة أشهر، آخرَ شهر جُمادى منه، أي أنّه كَتَبها بعد أن انقضَتْ سنتان وشهرٌ على قُدومه! فماذا كان يَفْعل قبلها؟

وفي النصّ المقارَن بين روايتين للمؤلّف نَفْسه ورَدَا في كتاب "التعريف" عن علاقَة الكتاب بأبي العبّاس الحَفْصي والظّاهر برقوق، ما يُساعد على ضَبْط بعض التصوّرات.

فهذه أنْظار يمكن بَحْثُها.

2 ❁ تتَرَدّدُ في الكتاب الأوّل لفظةٌ تجيء في آخر فصوله، استَوْقَفني تكرارُها، فالتقطتُها - من هذا القسم الأول المنشور - في صيغة ثابتة وفي معاني متصرّفة، ذلك هو مُفْرَد الأَمْر من فعل اعْتَبَر، وهو ما يُثير الانتباه.

فقد جاءَتْ:

1 ❁ بمعنى: قَارِنْ ووَازِنْ، في قوله: "فاعتبره تجدْه" [ظ 126ب] . وفي قوله: "واعْتَبِرْ ذلك أيضاً بأَهل مصر، فإنّها في مثل عرض البلاد الجريدية وقريباً

= سنة 797هـ ، قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه :

"أتممت هذا الجزءَ المشتمل على المقدّمة بالوضع والتأليف قبل التّنقيح والتّهذيب في مدّة خمسة أشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم نقحّته بعد ذلك وهذّبته، وألحقتُ به من تواريخ العَرَب والبربر ما اخترتُه، ثم استوْفيت بعد ذلك في هذا الكتاب الملقب الظّاهري خبرَ الدّول في الخليقة والعالم، واستَوْعبتُه حسبما ذكرتُه في أوّله وشرَطْتهُ".

منها، كيف غلب الفَرح عليهم" [ظ 60أ] 154 . وفي قوله: "واعْتَبِرْ ذلك في حيوان القَفرِ ومواطن الجَدْب مع أمثالها من حيوان التّلول" [ظ 61أ] 158 .

2 ◉ وبمعنى: قَدّرْه، في قوله: "فافهم ذلك واعْتَبِرْه فيما نوردُه عليك من بعد" [ظ 128ب] .

3 ◉ وبمعنى: والْتَمِس ذلك، في قوله: "واعْتبرْ ذلك في أمّة الفُرْس [ظ 100ب].

4 ◉ وبمعنى: التنبّه والوَعْي، في قَوْله بعد أن شَرَح مَعْنى البَيْعة في العُرْف: "واعْتبر ذلك من أفعالك مع الملوك" [ظ 141ب] .

5 ◉ وبمعنى: فتمسّكْ به واعتمدْ، في قوله بعد أن قرّر أن بَقاءَ الدّول كأعمار النّاس وأن عمرها مائة عام: "فاعْتَبِرْه واتّخذ منه قانوناً" [ظ 115أ].

6 ◉ وبمعنى: واتخذ واعتمدْ، في قوله: "واعْتَبِرْ ذلك علامةً تميّز لها بين المكيّ والمدنيّ من السُّوَر والآيات" [ظ 68ب] 179 .

7 ◉ وبمعنى: المقَايسة، في قوله: "واعْتَبِرْ ذلك بجوائز ابن ذي يَزَن" [ظ 120أ].

8 ◉ وبمعنى: ابْحَثْ وانظر، في قوله: "واعتَبِرْ ذلك في الدّول والرّئاسات تجِدْه" [ظ 124أ]، وفي قوله: واعْتَبِرْ ذلك في الحاضر الشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلاً [ظ 11أ] 14 .

9 ◉ وبمعنى: افهم، في قوله: "فاعْتَبِرْه واجتنِب المغالِطَ فيه" [ظ 90ب] 235.

10 • وبمعنى: تمثَّلْ، في قوله: "واعْتَبِر ذلك في الآدميين تجده كثيراً صحيحاً" [ظ 85 ب] 224 . وفي قوله: "واعْتَبِرْ ذلك فيما حكاه القرآن عن إخوة يوسف" 228.

11 • وبمعنى: واسبُر وتعمّق فهمه، في قوله: "فافهمه، واعْتَبِرْ سرّ الله في خليقته" [ظ 189ب] 233 .

12 • وبمعنى: تأمّل، في قوله: "واعْتَبِرْ ذلك في الحيوانات العجم" [94أ] 243. وفي قوله: "واعْتَبِرْ حال القَرْمَطيّ إذ كان دعِيّاً في انتسابه كيف تلاشت دعوته" [ظ 17 أ] 33 و [ظ 62 ب] 162.

13 • وبمعنى: فأدرك معنى هذا، في قوله: "فاعْتَبِرْ هذا فيما قُلناه فإنه كافٍ" [ظ 965 ب] 249 .

14 • وبمعنى: وقدّر - وليكن في تقديرك، في قوله: "واعتبر ذلك إذا حالت صِبْغةُ الدّين وفسدت" [ظ 107 ب] 277، وفي قوله: "واعْتَبِرْ هذا في دولة الموحّدين مع زَناتة" [ظ 107 ب] .

وهذه النّماذج لهذا المِفْتاح الّذي يتّجه به لأكْثر من بابٍ ودلالة، سِمَةٌ فيه لمرونة الفكْر وإثارة التأمّل والبَحْث والفَهْم والمقارنة والمقايسة؛ وسنُقدّم استعمالاتِ هذه اللّفظة التي تجاوزت الخَمْسين، في معاجم الكِتاب، لأهميتها.

وعلى هذا، فإنّ بعض ما قدّمتُه من نَماذج - وهي قليلٌ من كثير - هي مَغنى "العِبَر" الّتي سَمّى بها كتابَه، ولا تَقفُ عند معنى الموعظة الّتي انساق إليها تلميذُه المقريزيّ، فسمّى كتابه في خِطط القاهرة : المواعظَ والاعْتبار.

وقد ذكَر اسم الكتاب بمعنى غائم غير محدّد في القصيدة[1] اللاّمية التي قدّمَهُ بها في صيغته الأولى لأبي العبّاس أحمد الحفصيّ، فقال:

وإليك من سِيَرِ الزّمان وأهْله   عِبَراً يدين بفَضْلها من يَعْدلُ

وليس في هذا البيت - فيما أرى - أيّ معنىً للمَوْعظة .

وأصلُ استعمال الأمر بالاعْتبار عنده، تأثُّرهُ مُنذ أوائل النَّشْأة بما كان يتلقّاه عن شيخه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبليّ، الذي درس عليه "مُحصّل أفكار المتقدّمين والمتأخرين"، للفخر الرّازيّ، والذّي أثنى عليه أبلغَ الثناء[2] في مقدّمة التّلخيص الذي كتبه بتوجيهه وسَمّاه "لُباب المُحَصّل".

وطريقة الفخر الرازيّ أنه عندما يعرض أقوالَ المُخالفين ويوردُها متتاليةً للردّ عليها، يبدأ نَسَق القَوْل والردّ بمثل قوله: "التّمسّك بعُموم قوله تعالى ﴿فاعْتَبروا﴾" [المحصول في علم أصول الفقه 5: 349]، أو : "إن عُموم قوله ﴿فاعْتبروا﴾" ينْفي هذا الشَّرْط [المحصول 5: 367، 371، 399، 233، 341] . وهذا التصرّف في مَغنى الاعتبار،قائم في فكر الرّازيّ، في استعمالاته الجدلية، استمداداً

(1) التعريف بابن خلدون 247 .

(2) ابن خلدون: لباب المحصّل في أصول الدين 229 - 30 ، (دار المشرق - بيروت 1995) .

وإحياءً لمفاهيم اللغة نفسها[1]، وأوضحها ما قرّره عند تفسير الآية الكريمة ﴿ فاعْتَبِروا يا أولي الأبْصار ﴾[2] "بأن الاعْتبار مأخوذٌ من العبور والمجاوَزَة من شَيْءٍ إلى شَيْءٍ، ولهذا سُمّيت العَبْرة عَبْرَةً لأنها تنتقل من العَيْن إلى الخَد؛ وسمّي المِعْبَر مِعْبراً، لأن به تحصُل المجاوَزة؛ وسُمّي العِلْم المخصوص بالتعبير، لأن صاحِبَه ينتقل من المتخيّل إلى المعقول؛ وسُمّيت الألْفاظ عبارات، لأنّها تنقل المعاني من لسان القائِل إلى عَقْل المُسْتمع؛ ويقال: السّعيد من اعتبر بغَيْره، لأنّه ينتقل عَقْله من حال ذلك الغَيْر، إلى حال نَفْسه، ولهذا قال المفسّرون: الاعتبار هو النّظر في حَقائق الأشْياء وجِهات دِلالتها، ليُعرف بالنّظر فيها شَيْءٌ آخر من جِنْسها"[3].

3 ● كانت أسْجاعه واضحة التكلّف ، يتصنّعها اضطراراً في مُناسباتها ، خُطْبَةً في كتاب ، أو دَرْساً أمام من اعتادوا اعْتبار العالم على مقدار إجادته لطريقة العَصْر من إتقان فنّ السّجع وألوان البَديع ، وقد أفاد عن نفسه أنّه عندما تولّى في المرحلة المغربية الكتابة عن السلطان أبي سالم في شعبان 760 هـ / 1358م ، كان يشاركه في الخطّة من يُجيد الكتابة في الأسْجاع، لضُعْف انتحاله لها ، وأنّه انفرد بكتابة المُرْسَل يومئذٍ وكان مُسْتغرباً عندهم بين أهل الصّناعة[4]. ومع أنه كثيراً ما يكرّر كلامَه ويُعيد عَرْض الموضوع بأكثر من صيغة مَقْبولة ، إلاّ أنّ الأَمْر في المسجوع يبدو أكثر إحْراجاً لأدبه ، فقد التجأ إلى الاسْتنجاد بفقرةٍ مسجّعة - وليست بذاك -

(1) لسان العرب (عَبَر)
(2) سورة الحشر ، الآية 2
(3) الرازي : مفاتيح الغيب 10 : 504 .
(4) التعريف: 72 - 73 .

استَعْملها ضمن خطبة دَرْس قدَّمه في المدرسة القمحيّة أوّل قُدومه على القاهِرة[1]، ثم نزّلها في آخر ديباجة المُقدّمة (نسخة الظّاهري ص 8).

4 ❁ وفي هذه المقدّمة مداخل وفُصول[2] معرفية تظل ألغازاً للمتعاملين معها، لاندثار مفاهيمها وصُعوبة إخْضاعها للمنطق والفَهْم، وعَرَض ابن خَلْدون يشعرك بمُشاركَته في فَهْمها وربّما بتَصْديق مُحْتواها أحياناً بما جعله يُطنب في تقديمها وتحليل محتواها وإدْراجها في ذلك النّسَق والإطار المُترابط لتركيب مادّة هذا الجُزْء من العِبَر (المقدّمة). ويعترض من يَعْترض بالتّساؤل عن طبيعة هذا الإقْحام وعلاقَته بالتركيب المَعْرفي للفكر الإسلاميّ كما سجّله في عصره، والواقع أن تلك القضايا المعقّدة كانت جزءاً من ثقافة العالم الإسلامي وعصر ابن خَلْدون خاصّة، فقد كانت المجتمعات تنتظر أجوبة عن مصيرها المُرْتبك المهدّد باسْتمرار، فتطلبُ الإجابةَ من أولئك المُنْتصبين لتَعْزيتهم بالقُدْرة على اخْتراق الحاضِر والْتماس أَجْوبة المُسْتقبل من عُمْق المُستقبل نَفْسه، وكثر أَدْعياء هذا الفن، يتوسّلون إليه بأساليبَ مُخْتلفة، ويتعاملون فيه مع متون القصائد الجَفْرية، أو يتلمّسون ذلك بالحُلول الآنية الّتي تُحْسب بضَرْب الرمل[3] وغيره؛ وكان الملوك وأَهْل السُّلْطان خاصَّة أكثر ولعاً بهذه الفنون، يَنْتدبون لها المنجّمين يقيمون عندهم لكَشْف طالع كلّ سَعْي يقومون به.

(1) التعريف : 291 .

(2) من ذلك علوم السحر والطلمسات، وعلم أسرار الحروف، ومن فروع علم السيمياء وكيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زايرجة العالم، والاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية.

(3) كانت أخت تمرلنك تجيد ضرب الرمل (إنباء الغمر 3 : 208) .

ومع الأهمّيّة التاريخيّة لهذه الفصول، فإنّها تضع عبئاً ثقيلاً على الكتاب، وتفصل وحْدته المعرفيّة، وتنْتقل بالقارئ من المعقول إلى اللاّمعقول.

❁ ❁ ❁

هذا وقد عملت[1] هذا العمل وليس في تقديري أن أختم صحبتي على أبي زَيْد، فغايةُ ما صنَعْته أني قَدّمت بأمانة وللمرّة الأولى نصّاً واضحاً مصحّحاً بقَلَمه وعلى أصوله نَفْسها، ومُستَكْملاً منها، بعد أن قضيتُ زمناً طويلاً، ألاحقُ تلك الأصول حتّى جَمَّعْتها لبَعْضها البعض، وميّزت[2] مَنْزِلتها، ثم تعقبّت النصّ لتدقيق معانيه والتّعرف على مُصْطلحه ومصادره.

وحرصتُ فيه على تفكيك وفهم جُمله الطّويلة المدّة الّتي تكاد تذهب أحياناً بالفكرة التي يَعْرِضها ، ورقّمتها بأدوات التّرقيم تيسيراً لمتابعتها وفَهْمها ، وأثبتّ الأرقام الجانبيّة للسّطور لتَيْسير الإحالة عليها في المعاجم ، والتَزَمْت شكل الكلمات بنسبة معقولة، لما يؤدّيه ذلك من مُساعدة على تبيّن معاني المؤلّف.

(1) اشتركت مع مقام أستاذي صديقي الدكتور إحسان عبّاس في إعداد هذا الجزء الأول من الكتاب الأول، وقابلنا النّسخ المخطوطة، ثم توقّفنا عند هذا الحدّ ، وأبقيت ما أعددناه في مكتبه، فتوفي إلى رحمة الله في 2003/7/29. وعندما استأنفتُ المشروعَ لم أجِدْ ممّا أعددناه إلاّ بعض صفحاتٍ، فاضطررت إلى إعادة المقابلة، ومواصلة عمل ما يتطلبه الكتاب. واحتفظت باسم الدكتور إحسان عبّاس على صَدْر الكتاب، وفاءً لذكرى صداقة متينة ، وتكريماً لما قدّمه في خدمة تراث العربية كاتباً وناقداً ومؤلّفاً ومحققاً.

(2) بعض هذه الأصول ، كان يُكتفى في التعريف بها في القوائم والفهارس المنشورة بأنها مخطوطة من القرن التاسع!

ثم خرّجْت ما أورده من شِعْرٍ - وهو قليل - وما أَسْنَده من نصوص ، وما أوْرده من أحاديث[1]، إلاّ في حالات محدودة لم تُسْعفنا بها المصادِرُ الّتي بين أيدينا، ونَسْتدْركها في فوات التعاليق بآخر الكتاب.

ونبّهت على ما لم نَجِدْه من إحالاته على المَصادر، أو ما لم نجده في إحالاته المحدّدة ووجدناه في غير ما حدّده . أو ما وَهِمِ فيه وليس كذلك، أو ضَبْط بعض الأسماء "الأماكنيّة " المختلف فيها، أو ما تأكّد توضيحُه من إشارات تاريخية، أو شَرْح بعض الكلمات التي قرئت خطأً في النسخ المنشورة.

وعلّقت فيما تدعو إليه الضّرورة لتصحيح فهم خاطيءٍ أو الكَشْف عمّا يحتاج للكشف.

واخترت أن يكون مُعْجم ابن خَلْدون اللّغوي وما يُكرّره من مفردات واستعمالات خاصّة به تقريباً. أو ما يستعمله أحياناً من عاميّة المغرب والأندلس، ضمن المعجم اللغوي المنفصل الذي يَسْتوعب كلَّ ما يتّصل بجزئي الكتاب الأوّل (المقدمة).

وميّزت في الفهرس الفصولَ الّتي لم يَتّخذ عنواناً لها، وذلك باسْتخراج عنوانها من نصّها، مع الحرص على أن يكون من لغته.

ويوجَد فَصْلان لم يَرِدا في المخطوطات المعتمدة، قد يكونَان ممّا أضافه المؤلّف بعد سنة 799 آخر تواريخ أصولنا الخمسة، أحدهما وُضع له علامة مخرج في النسخة

[1] الشكر لصديقي العلامة الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف الذي ساعد في ذلك كل المساعدة.

الأم (ع) وسقطت الورقة المُضافة بعد أن نقلَتْها بعض النّسخ الأخرى ، والفصلان هما:

- فصلٌ في أنَّ الرّئاسة لا تزال في نِصابها المَخْصوص من أَهْل العصبيَّة.

[ذكره د . عبد الواحد وافي في 2: 488 وهو ساقط من طبعة باريس ومن التيمورية] .

- فصل في اتّساع نطاق الدّولة أولاً إلى نهايته، ثم تضايقُه دوراً بعد دوْر إلى فناء الدّولة واضْمِحْلالها.

[ذكره د . عبد الواحد وافي في 2: 760، ويوجد في طبعة باريس 2: 114 - 117، والنسخة التيمورية].

وسنوردهما في آخر الكتاب حسبما اعتمدناه، مصحّحيْن على أصول خطّيّة أخرى نشير إليها .

❁ ❁ ❁

وعليّ واجب شكر أؤدّيه لكل الّذين وجدتُ منهم العَوْن العلميّ والمعنويّ، ودفعوني - رغم الشواغل الثّقيلة - إلى العَوْدة لَمشْروعي القَديم، وكنت أوّل من فكّر فيه وقدّم خطّة متكاملة عنه، أَلْقيتها في المؤتمر الثّاني لبيت الحكمة بقرطاج، وكنت وَقْتها من أعضائها ، ثمّ ... ثمّ تراخَيْت عنه وأَهْمَلْتُه.

فالشّكْرُ لِـوزارة ووُزَراء الثّقافة التونسية ، ولأصدقائي وإخواني : أ. د. إبراهيم النجار، د. الهادي البكّوش، أ. د. المنجي الكَعْبي، أ.د. أبو يَعْرب المرزوقي،

أ. عبد العزيز قاسم، أ. الطيّب العشّاش، أ. الحبيب شيبوب ، أ. ريحانة شَبّوح ، د. مراد الرّماح، والسيد الحبيب اللّمسي.

والشكر لوزارة الثقافة التركية، و أ.د. أكمل الدين إحسان أوغلو، ومدير المكتبة السّليمانية د. نوزت كايا، ومساعده أ. أمير، ومحافظ مكتبة عاطف مصطفى أ. عثمان دوزجان، و أ. محمّد التّميمي.

وفي فرنكفورت : أ. د. فؤاد سزگين الّذي قدّم لي صور أكثر النّسخ التّركية، وصورة خريطة نسخة عاطف مصطفى الّتي تنشر في هذا الكتاب.

وفي المغرب الشقيق: صديقي المرحوم أ. عبد الرحمن الفاسي مدير الخزانة العامة السابق، وإلى أ. د. محمد بن شريفة، و أ. د. أحمد شوقي بنبين الذي لا أنسى مساعدته.

وفي الجزائر الشقيقة: د. أحمد طالب الإبراهيمي، وأ. د. أبو عبد الله غلام الله، و أ. د. عمّار الطالبي.

وفي الجماهيرية الليبية: د. خليفة التلّيسي.

وفي لبنان : أ. د. محمد يوسف نجم، و أ. د. رضوان السيد.

وفي عمّان: مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلاميّ، ثم، أ. د. عبد الكريم غرايبة، و أ. د. محمد عدنان البخيت، و أ. د. فاضل بيات، و أ. د. عبد العزيز الدوري، وأ. صدقي حطّاب، و أ. فاروق جرار، و أ. مهدي الرّواضية، و د. إحسان ذنون.

وفي مصر: د. أيمن فؤاد سيد .

وإلى مركز الملك فيصل، ومكتبة الملك فهد في الرياض.

وإلى أ. د. رشدي راشد (باريس).

وإلى أ. د. فيرنر شفارتس (جوتنجن، ألمانيا) .

❁ ❁ ❁

ولا أدّعي إصابة الغَرض فيما قصدت إليه، وإنّما اجتهدت ما استطعت في إعداد هذا النّص وإخْراجه موثّقاً على هذه الهيئة ، إسهاماً في خدمة تراث أبي زيد الذي امتدّت صحبتي له زمناً ، ووقفت على أصالة ما قدّمه، ومن الله أسْتمدّ العون على إتمام ما بدأتُه ، ولواهب العقل الحمد بلا انتهاء.

إبراهيم شبّوح